الأخلاق في الإسلام
وأخلاق المهنة

تأليف

د. سليمان بن عبد الرحمن بن عبد الله اللقماني

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

فإن موضوع (الاخلاق في الإسلام) من الموضوعات المهمة لكل مسلم وخاصة ما يتعلق بالمهن والعمل ولقد حث الإسلام على الاخلاق ودعا لها وبين فضل التحلى بالاخلاق في الحياة العلمية والعملية وقد بين النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهمية الاخلاق فجاء الحث على الاخلاق والدعوة إلى التحلي بها: عَن أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] وفي رواية «إنما بعثت لأتمم صالح الاخلاق»[2] ونظرا للحاجة الى توعية النشء بأهمية الاخلاق وضرورة ترسيخ الخلق الحسنة في نفوس الناس ولاسيما فيما يتعلق بالعلاقات بين الناس واهمها في أعمالهم وتعاملاتهم ولذلك عمدت إلى إعداد هذا الكتاب الذي يتحدث عن الأخلاق الإسلامية وما يتعلق بأخلاق المهنة وقد قسمته إلى سبعة فصول والله تعالى أسال أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجه العظيم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى بلفظه ١٠/ ١٩٢، واحمد ٢/ ٣١٨ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦١٣ وصححه الالباني في الصحيحة برقم ٤٥، ١/ ٧٥

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٨١) (٨٩٣٩)، والحاكم (٢/ ٦٧٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩١): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧/ ٦٩): صحيح على شرط مسلم.

* **الفصل الاول: مفهوم الأخلاق الإسلامية، وأهميتها.**
  - المبحث الأول: مفهوم الاخلاق.
  - المبحث الثاني: أهمية الاخلاق.
* **الفصل الثاني: مصادر الأخلاق الإسلاميه وأقسامها باعتبار علاقاتها.**
  - المبحث الأول: مصادر الاخلاق الإسلامية.
  - المبحث الثاني: أقسام الاخلاق باعتبار علاقتها.
* **الفصل الثالث: خصائص الاخلاق الإسلامية ووسائل أكتسابها.**
  - المبحث الأول: خصائص الاخلاق الإسلامية.
  - المبحث الثاني: وسائل أكتساب الاخلاق.
* **الفصل الرابع: مفهوم المهنة والعمل ومكانتهما.**
  - المبحث الأول: مفهوم المهنة والعمل.
  - المبحث الثاني: مكانة المهنة والعمل.
* **الفصل الخامس: شروط المهنة في الإسلام.**
* **الفصل السادس: أخلاقيات المهنة.**
  - المبحث الأول: الأخلاق الوظيفية المحمودة.
  - المبحث الثاني: الأخلاق الوظيفية المذمومة.
* **الفصل السابع :المخالفات المهنية.**

❋❋❋

الفصل الأول

مفهوم الأخلاق الإسلامية، وأهميتها

المبحث الاول

مفهوم الأخلاق

الأخلاق لغةً: جمع خُلُق، وهو السجية والطبع.

وحقيقته: أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، وهي بمنزلة الخَلْقِ لصورتِه الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة[١].

وفي المعجم الوسيط: «الخُلُقُ: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية»[٢].

الأخلاق اصطلاحًا: تعددت تعريفات علماء التربية لمعنى الأخلاق، ولعل المختار منها أن الخُلُقَ:

«هيئة للنفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجةٍ إلى فكر وروِية»[٣].

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (خ ل ق)، وانظر: الصحاح للجوهري: (٤/ ١٤٧٠)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: (٣/ ٢٣٦).

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون:مجمع اللغة العربية: (١/ ٢٥٢).

(٣) التعريفات، للجرجاني: (١٣٦).

فإنْ كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا سميت الهيئة: خُلُقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة: خُلُقًا سيئًا[1].

■ **فقد أوضح هذا التعريف حالتين للأخلاق:**

* **الحالة الأولى:** أن بعض الأخلاق تصدر عن طبيعة مزاجية.
* **الحالة الثانية:** أن بعض الأخلاق تُستفاد بالعادة والتدريب؛ وإلا لَمَا كان فائدةٌ من التهذيب والتأديب.

فالخُلُقُ إنما هو حصيلة التفاعل بين الصفات الفطرية والمكتسبة؛ بحيث تصبح عادةً متمثلة في السلوك خاضعة للمبادئ والقيم الإسلامية التي جاء بها الوحي لتنظيم حياة الفرد والمجتمع.

❋❋❋

(١) المرجع السابق: (١٣٦).

المبحث الثاني

أهمية الأخلاق في الإسلام

إنَّ أهمية الأخلاق للحياة الإنسانية في نظر الإسلام ينظر إليها من اعتبارات مختلفة أهمها:

أولًا: العلاقة الوثيقة بين الأخلاق وبناء الشخصية الإنسانية:

الإنسان جسد وروح، ظاهر وباطن، والأخلاق تمثل صورة الإنسان الباطنة، والتي محلها القلب، وهذه الصورة الباطنة هي قوام شخصية الإنسان المسلم، فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، أو لونه وجماله، أو فقره وغناه، وإنما بأخلاقه وأعماله المعبرة عن هذه الأخلاق، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ (الحجرات: ١٣).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، (٤/ ١٩٨٦) برقم (٢٥٦٤).

مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»[1].

تظهر أهمية الأخلاقية الإسلامية لما لها من أثر في سلوك الفرد، وفي سلوك المجتمع.

أما أثرها في سلوك الفرد فلما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة، والصدق، والعدل، والأمانة، والحياء، والعفة، والتعاون، والتكافل، والإخلاص، والتواضع وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فالأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح.

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس: ٩ - ١٠).

ويقول سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ (الأعلى: ١٤ - ١٥).

والتزكية في مدلولها ومعناها: تعني: تهذيب النفس باطنًا وظاهرًا، في حركاته وسكناته.

وأما أثرها في سلوك المجتمع كله، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أم غير إسلامية، يقرر ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ (العصر: ١ - ٣).

فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعًا محصنًا لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامنًا في ضعف إمكاناتها المادية أو

(١) رواه الترمذي، بَابٌ في فضل الشام واليمن، (٥/ ٧٣٤) برقم ٣٩٥٥، وقال: «وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٤٨٢.

منجزاتها العلمية، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها).[1]

ثانيًا: ارتباط الأخلاق بالأسس العقدية والتشريعية للدين الإسلامي:

جعل الإسلام العقيدة الأساس الأول الذي تصدر عنه الأخلاق الفاضلة، وارتباط الأخلاق بالعقيدة أمر معلوم لكل من له فكر وروية بأمور الإسلام، وهذا الارتباط يشكل ضمانة لثبات الأخلاق واستقرارها وعدم العبث بها، كما يعتبر في الوقت نفسه شجرة مثمرة طيبة لهذه العقيدة.

أما عن ارتباط الأخلاق بالشريعة، فالشريعة منها العبادات، والمعاملات، وصلة الأخلاق بالعبادات لا تحتاج إلى تقرير، وصلتها بالمعاملات لا تنفك، وعلى هذا فإن العبادات والمعاملات إذا عريت عن الأخلاق لا تغني عن صاحبها شيئًا:

وتظهر أهمية الأخلاق بتميزها بمزايا منها:

١) امتثال أمر الله سبحانه:

كثيرة هي الآيات القرآنية التي تدعو العاقل إلى امتثال أمر الله سبحانه في الأخلاق، إما إيجابًا، أو نهيًا، أو إرشادًا، ومنها: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف: ١٩٩).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

(١) الأخلاق الإسلامية، حسن السعيد المرسي ط ١، ١٤١٥هـ الأندلس للطباعة، ص (٢٤).

ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجرات١١ - ١٢).

■ ٢) أنها طاعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

■ ٣) أنها سبب لمحبة الله تعالى :

قال الله تعالى ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (آل عمران:١٤٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (المائدة: ٤٢).

وعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا جلوسًا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأن على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس، فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: أحسنهم خلقًا»(٢).

■ ٤) أنها سبب لمحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من

---

(١) مسند الإمام أحمد، (٣٤/ ٢٨٤) برقم ٢١٣٥٤، ورواه الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في معاشرة الناس(٤/ ٣٥٥)، ١٩٨٧، وقال حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٩٧.

(٢) رواه ابن حبان، بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ، رقم (٤٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦٥٢).

أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا»[١].

■ ٥) أن مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[٢].

■ ٦) أن الأخلاق الحسنة تضاعف الأجر والثواب :

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ، قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»[٣].

■ ٧) الأخلاق الحسنة من خير أعمال العباد

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»[٤].

---

(١) رواه الترمذي، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٤/ ٣٧٠) برقم ٢٠١٨، وقال حسن غريب من هذا الوجه، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٩١..

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وابن حبان (١٢/ ٥٠٦). قال الترمذي: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ١٨٧) (٢٥٥٨٧)، والحاكم (١/ ١٢٨). وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٢٠) وفي السلسلة الصحيحة ٧٩٥.

(٤) رواه البزار (١٣/ ٣٥٩)، وأبو يعلى (٦/ ٥٣)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ١٤٠). وجوَّد إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٧٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢): رجاله ثقات. وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٦/ ١٨): هذا إسناد رجاله ثقات.وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٩٣٨.

■ ٨) الأخلاق الحسنة تزيد في الأعمار وتُعَمِّر الديار

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»(١).

■ ٩) الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»(٢).

■ ١٠) أنها من أعظم أسباب دخول الجنة :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»(٣).

■ ١١) مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا احتمالًا أنه قام مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى؛ فإنَّه لابد لسلامة هذا

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٥٩) (٢٥٢٩٨)، وصحح إسناده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥١٩).

(٢) رواه الترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠) (٧٣٩٦). قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم (١/ ٤٣)، قال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٠٦): رواه أحمد، وفيه محمد ابن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الالباني في صحيح الجامع حسن صحيح ،برقم ١٩٢٣

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ إِذَا فَقِهُوا، برقم ٢٨٩، ورواه الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ، (٤/ ٣٦٣) برقم ٢٠٠٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦٤٢).

المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقادير. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، «وإذا كانت الأخلاق في أفراد الأمم تمثل معاقد الترابط فيما بينهم، فإن النظم الإسلامية الاجتماعية تمثل الأربطة التي تشدُّ المعاقد إلى المعاقد، فتكون الكتلة البشرية المتماسكة القوية، التي لا تهون ولا تستخذي».[1]

❊❊❊

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة، ١/ ٢٩.

الفصل الثاني

مصادر الأخلاق الإسلامية وأقسامها باعتبار علاقاتها

المبحث الأول

مصادر الأخلاق الإسلامية

يمكن أن نجمل مصادر الأخلاق الإسلامية في مصدرين رئيسين، هما أعظم ما تُستمدُّ منه هذه الأخلاق؛ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الصحيحة:

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأخلاق، والآيات التي تضمنَّت الدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (النحل: ٩٠).

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ (الأعراف: ٣٣).

إلى غير ذلك.

ويدلنا على أصالة هذا المصدر أنَّ الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق العظيم عَنِ الْحَسَنِ قَالَ سُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ[1].

ومعنى ذلك كما يقول ابن كثير: (أنَّه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن،

(١) مسند الامام أحمد برقم ٢٦٤٥٣

ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خلقًا له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين)[1].

والمصدر الثاني السنة النبوية: والمراد من السنة ما أضيف إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أقوال وأفعال، وتقريرات، وتعتبر السنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني للأخلاق، يقول الله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ (الحشر: ٧).

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ (النساء: ٥٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» [2].

قال إبراهيم الحربي: (ينبغي للرجل إذا سمع شيئًا من آداب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتمسك به) [3].

(ولذا حرص الصحابة رضوان الله عليهم واهتموا اهتمامًا كبيرًا، وتخلقوا

---

(١) «الفصول في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» لابن كثير (ص ٢٦٤).

(٢) رواه الامام أحمد برقم ٨٩٥٢، وصححه الالباني في صحيح الادب المفرد ،برقم ٢٧٣، وفي صحيح الجامع الصغير ٢٣٤٨،

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ١٤٢).

بالأخلاق الحسنة مستندين في ذلك إلى ما جاء في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق)[1].

❊❊❊

(١) «موسوعة الأخلاق» لخالد الخراز (ص ٣١).

المبحث الثاني

أقسام الأخلاق باعتبار علاقاتها

أولًا: أقسام الأخلاق باعتبارها فطرية أو مكتسبة:

■ **الأخلاق تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:**

١) أخلاق فطرية. ٢) أخلاق مكتسبة.

فبعض أخلاق الناس أخلاق فطرية، تظهر فيهم منذ بداية نشأتهم، والبعض الآخر من أخلاقهم مكتسب من البيئة، ومن تتابع الخبرات والتجارب وكثرتها ونحو ذلك. والأخلاق الفطرية قابلة للتنمية والتوجيه والتعديل؛ لأنَّ وجود الأخلاق الفطرية يدل على وجود الاستعداد الفطري لتنميتها بالتدريب والتعليم وتكرر الخبرات، والاستعداد الفطري لتقويمها وتعديلها وتهذيبها.

(إننا نجد مثلًا الخوف الفطري عند بعض الناس أشدَّ منه عند فريق آخر، ونجد الطمع الفطري عند بعض الناس أشد منه عند فريق آخر، ونجد فريقًا من الناس مفطورًا على سرعة الغضب، بينما نجد فريقًا آخر مفطورًا على نسبة ما من الحلم والأناة وبطء الغضب، ونجد حبَّ التملك الفطري عند بعض الناس أقوى منه عند بعض آخر.

هذه المتفاوتات نلاحظها حتى في الأطفال الصغار الذين لم تؤثر البيئة في تكوينهم النفسي بعد.

وقد جاء في أقوال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يثبت هذا التفاوت الفطري في الطباع الخلقية وغيرها: منها: قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الترمذي: «إنَّ

بني آدم خلقوا على طبقات شتى، ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء، والسريع الغضب سريع الفيء، والبطيء الغضب بطيء الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم بطيء الفيء سريع الغضب، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء»[(١)].

ومنها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقُهُوا»[(٢)].

ومنها عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»[(٣)].

وفي قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الناس معادن» دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية، وفيه يثبت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن خيار الناس في التكوين الفطري هم أكرمهم خلقًا، وهذا التكوين الخلقي يرافق الإنسان ويصاحبه في كل أحواله.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٩١)، وأحمد (٣/ ١٩) (١١١٥٩). وحسَّنه الترمذي، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٢٤٠).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري،كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، برقم ٣٣٥٣، صحيح مسلم، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.،برقم ٦٢٣٧.

(٣) سنن الترمذي، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ برقم ٢٩٥٥، ٥/ ٢٠٤ وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وصححه الالباني في المشكاة ١٠٠، الصحيحة ١٦٣٠. وفي صحيح الجامع برقم ١٧٥٩.

فإذا نظرنا إلى مجموعة من الناس غير متعلمة ولا مهذبة، أو في وسط مجتمع جاهلي، فإنَّه لابد أن يمتاز في نظرنا من بينهم أحاسنهم أخلاقًا، فهم خيرهم معدنًا، وأفضلهم سلوكًا اجتماعيًا، ثم إذا نقلنا هذه المجموعة كلها فعلمناها وهذبناها وأنقذناها من جاهليتها، ثم نظرنا إليها بعد ذلك نظرة عامَّة لنرى من هو أفضلهم، فلابد أن يمتاز في نظرنا من بينهم من كان قد امتاز سابقًا، لأنَّ العلم والتهذيب والإيمان تمدُّ من كان ذا خلق حسن في أصل فطرته، فتزيده حسن خلق واستقامة سلوك وتزيده فضلًا، ثم إذا جاء الفقه في الدين كان ارتقاء هؤلاء فيما فضلوا به ارتقاء يجعلهم هم السابقين على من سواهم لا محالة، وبذلك تكون فروق النسبة لصالحهم فضلًا وكرمًا.

ومنها عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ»[1].

ثانياً: أقسام الأخلاق باعتبار علاقاتها.

تنقسم الأخلاق باعتبار علاقاتها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: ما يتعلق بوجوه الصلة القائمة بين الإنسان وخالقه... والفضيلة الخلقية في حدود هذا القسم تفرض على الإنسان أنواعًا كثيرة من السلوك الأخلاقي: منها الإيمان به؛ لأنَّه حق، ومنها الاعتراف له بكمال الصفات، والأفعال، ومنها تصديقه فيما يخبرنا به؛ لأنَّ من حق الصادق تصديقه، ومنها التسليم التام لما يحكم علينا به؛ لأنَّه هو صاحب الحق في أن يحكم علينا بما يشاء.

(١) رواه الامام أحمد، برقم ٣٧٤٦، ٢/ ٥٩٠ وصححه الالباني وفي السلسلة الصحيحه، برقم ٢٧١٤ وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٥٧١

فكل هذه الأنواع من السلوك أمور تدعو إليها الفضيلة الخلقية.

أما دواعي الكفر بالخالق بعد وضوح الأدلة على وجوده فهي حتمًا دواع تستند إلى مجموعة من رذائل الأخلاق، منها الكبر، ومنها ابتغاء الخروج على طاعة من تجب طاعته، استجابة لأهواء الأنفس وشهواتها، ومنها نكران الجميل وجحود الحق.

القسم الثاني: ما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان وبين الناس الآخرين.

وصور السلوك الأخلاقي الحميد في حدود هذا القسم معروفة وظاهرة: منها الصدق، والأمانة، والعفة، والعدل، والإحسان، والعفو، وحسن المعاشرة، وأداء الواجب، والاعتراف لذي الحق بحقه، والاعتراف لذي المزية بمزيته والمواساة والمعونة، والجود، وهكذا إلى آخر جدول فضائل الأخلاق التي يتعدى نفعها إلى الآخرين من الناس.

أما صور السلوك الأخلاقي الذميم في حدود هذا القسم فهي أيضًا معروفة وظاهرة: منها الكذب، والخيانة، والظلم، والعدوان، والشح، وسوء المعاشرة، وعدم أداء الواجب، ونكران الجميل، وعدم الاعتراف لذي الحق بحقِّه، وهكذا إلى آخر جدول رذائل الأخلاق التي يتعدى ضررها إلى الآخرين من الناس.

القسم الثالث: ما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان ونفسه.

وصور السلوك الأخلاقي الحميد في حدود هذا القسم كثيرة: منها الصبر على المصائب، ومنها الأناة في الأمور، ومنها النظام والإتقان في العمل، ومنها عدم استعجال الأمور قبل أوانها، وكلُّ ذلك يدخل في حسن إدارة الإنسان لنفسه، وحكمته في تصريف الأمور المتعلقة بذاته.

وصور السلوك الأخلاقي الذميم في حدود هذا القسم تأتي على نقيض صور السلوك الأخلاقي الحميد.

القسم الرابع: ما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان والأحياء غير العاقلة.

ويكفي أن تتصور من السلوك الأخلاقي الحميد في حدود هذا القسم، الرحمة بها، والرفق في معاملتها، وتأدية حقوقها الواجبة. أما الظلم والقسوة وحرمانها من حقوقها؛ فهي من قبائح الأخلاق، وفي هذا يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ابن عمر: «عُذِّبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض[1].

❊❊❊

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المساقاة، بَابُ فَضْلِ سَقْيِ المَاءِ، برقم ٢٣٦٥، ومسلم، كتاب الاداب، باب عذبت امرأة في هرة حبستها، برقم ٦٧٦٨

الفصل الثالث

خصائص الاخلاق ووسائل أكتسابها

المبحث الأول

خصائص الاخلاق

تعريف الخصائص لغة:

يقال: خصه بالشيء يخصه خصاً وخصوصية وخصوصية، والفتح أصح، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد.[١]

تعريف الخصائص في المصطلح العام:

١) **الخصوص:** أحدية كل شيء عن كل شيء بتعيينه، فلكل شيء وحدة تخصه[٢].

٢) **الخاص:** عبارة عن التفرد، يقال: فلان خص بكذا، أي: أفرد به ولا شركة للغير فيه.[٣]

٣) **الخصوصية أو الخصيصة:** الصفة التي توجد في الشيء ولا توجد في غيره.[٤]

وفي هذا المبحث سنذكر جملة من خصائص الاخلاق التي أنفردت بها الاخلاق الا سلامية عن غيرها:

---

(١) لسان العرب المحيط، لابن منظور (مادة: خصص)، ١/ ٨٤١.

(٢) التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣، ص٩٨.

(٣) المصدر السابق ص٩٩.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ د محمد رواس قلعة جي وزميله، ط ٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨، ص ١٩٦.

أولًا: الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر:

الأخلاق الإسلامية مصدرها كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا مدخل فيها للآراء البشرية، أو النظم الوضعية، أو الأفكار الفلسفية.

ولذا اتسمت الأخلاق الإسلامية بسمة الخلود والصدق والصحة.

ثانيًا: الشمول والتكامل:

من خصائص الأخلاق الإسلامية: أنها شاملة، ومتكاملة، وهي خاصية منبثقة من الخاصية الأولى، وهي الربانية، وذلك لأنها تراعي الإنسان، والمجتمع الذي يعيش فيه، وأهداف حياته طبقا للتصور الإسلامي، تحدد أهداف الحياة وغايتها وما وراءها، وتشمل كافة مناشط الإنسان وتوجهاته، وتستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ثم هي أيضًا لا تقف عند حدِّ الحياة الدنيا.

ثالثًا: الأخلاق الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:

لما كانت الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، كانت صالحة لجميع الناس في كلِّ زمان، وفي أيِّ مكان، نظرًا لما تتميز به من خصائص، فلا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان؛ لأنها ليست نتاجًا بشريًّا، بل هي وحي من الله تعالى لنبيه.

رابعًا: الإقناع العقلي والوجداني:

تشريعات الإسلام توافق العقول الصحيحة، وتتوائم مع الفطر السليمة، وتحصل القناعة الكاملة والانسجام التام مع ما أتت به الشريعة الإسلامية من نظم أخلاقية.

فالأخلاق الإسلامية بها يقنع العقل السليم، ويرضى بها القلب، فيجد الإنسان ارتياحًا واطمئنانًا تجاه الحسن من الأخلاق، ويجد نفرة وقلقًا تجاه السيئ من الأخلاق.

۞ خامسًا: المسؤولية:

الأخلاق الإسلامية تجعل الإنسان مسؤولًا عما يصدر منه في كلِّ جوانب الحياة، سواء كانت هذه المسؤولية مسؤولية شخصية، أم مسؤولية جماعية، ولا تجعله اتكاليًّا لا يأبه بما يدور حوله من أشياء، وهذه خاصية من خصائص أخلاقنا انفردت بها الشريعة الغراء.

ونعني بالمسؤولية الشخصية: أن الإنسان مسؤول عما يصدر منه عن نفسه إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [النساء: ١١١].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فهذه الآيات وغيرها تبين لنا مدى المسؤولية التي تقع على عاتق الإنسان عما يصدره منه عنه نفسه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[1]

يقول ابن حجر في شرح الحديث: (لا يلقي لها بالًا: أي: لا يتأمل بخاطره،

(١) صحيح البخاري، كتاب العتق، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، برقم ٦٤٧٨، ٨/ ١٠١

ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظنُّ أنَّها تؤثر شيئًا)[1]، فقبل أن تخرج الكلمة من فيك، أعط نفسك فرصة للتفكير، هل ما ستقوله يرضي الله أم يغضبه؟ هل تكون عاقبته خيرًا أم شرًّا؟ وطالما لم تخرج فأنت مالكها، فإذا خرجت كنت أسيرها، وإذا كان هذا في الكلام ففي سائر التصرفات من باب أولى.

ونعني بالمسؤولية العامة (الجماعية): تلك المسؤولية التي تراعي الصالح العام للناس، فلا يكون الرجل إمعة متكاسلًا... أو سلبيًّا بل عليه أن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر: عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[2].

سادسًا: العبرة بالظاهر والباطن من الأعمال معًا:

أخلاقنا الإسلامية لا تكتفي بالظاهر من الأعمال، ولا تحكم عليه بالخير والشر بمقتضى الظاهر فقط، بل يمتدُّ الحكم ليشمل النوايا والمقاصد، وهي أمور باطنية، فالعبرة إذًا بالنية، عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[3].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣١١).

(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، برقم ٧٨، ١/ ٦٩

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ برقم ١

والنية هي مدار التكليف، وعلى ذلك فالإسلام يراعي نية الإنسان في الحكم على عمله الظاهر

۞ سابعًا: الرقابة الدينية:

الرقابة: تعني مراقبة المسلم لجانب مولاه سبحانه في جميع أمور الحياة.

وعلى هذا فإنَّ الرقابة في أخلاقنا الإسلامية لها مدلولها المستقلُّ والمختلف عن الرقابة في مصادر الأخلاق الأخرى، حيث تكون رقابة خارجية من الغير تتمثل في رقابة السلطة، والأفراد.

أما الرقابة في الإسلام فهي رقابة ذاتية في المقام الأول، وهي رقابة نابعة من التربية الإسلامية الصحيحة، ومن إيقاظ الضمير، فإذا كان المسلم يعلم أنَّ الله معه، وأنَّه مطلع على حركاته وسكناته، فإنَّه يكون رقيبًا على نفسه، ولا يحتاج إلى رقابة الغير عليه، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ويقول سبحانه: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١]، فإذا قرأ المسلم هذه الآيات، وعرف معناها فإنَّه حينئذ يتيقن أنَّه إذا تمكن من الإفلات من رقابة السلطة، فإنَّه لن يتمكن من الإفلات من رقابة الله، وهذا في حدِّ ذاته أكبر ضمان لعدم الانحراف والانسياق إلى الأخلاق المذمومة.

۞ ثامنًا: الأخلاق الإسلامية ترتبط بالجزاء الدنيوي والأخروي:

أخلاق الإسلام ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجزاء، سواء في الدنيا أو الآخرة، لذا وُجد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

فالأخيار من الناس: جزاؤهم عظيم في الدنيا والآخرة: ومن ذلك ما أعده الله

لهم في الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وكذلك ما وعدهم الله به في الدنيا من الجزاء العاجل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق ٢-٣]، وقال أيضًا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

وأما الأشرار من الناس فقد توعدهم الله عَزَّوَجَلَّ كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

وأما جزاؤهم في الدنيا فمثاله قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

❊❊❊

المبحث الثاني

وسائل اكتساب الاخلاق

لدينا حقيقة ثابتة لابد من ملاحظتها في مجال كلِّ تكليف رباني: هي أنَّ الله تبارك وتعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فمسؤولية الإنسان تنحصر في نطاق ما يدخل في وسعه، وما يستطيعه من عمل، أما ما هو خارج عن وسع الإنسان واستطاعته، فليس عليه مسؤولية نحوه، يضاف إلى ذلك أنَّ نسبة المسؤولية تتناسب طردًا وعكسًا مع مقدار الاستطاعة...

فما كان من الطباع الفطرية قابلًا للتعديل والتبديل، ولو في حدود نسب جزئية، لدخوله تحت سلطان إدارة الإنسان وقدرته، كان خاضعًا للمسؤولية، وداخلًا في إطارها تجاه التكاليف الربانية، وما لم يكن قابلًا للتعديل والتبديل، لخروجه عن سلطان إرادة الإنسان وقدرته، فهو غير داخل في إطار المسؤولية تجاه التكاليف الربانية.

وبناء على ذلك فإننا نقول وفق المفاهيم الدينية: لو لم يكن لدى كلِّ إنسان عاقل قدرة على اكتساب حدٍّ ما من الفضائل الأخلاقية؛ لما كلفه الله ذلك.

وفي هذا المبحث سنذكر جملة من الوسائل التي يمكن أن يكتسب بها المرء الاخلاق الفاضله

تصحيح العقيدة:

إن العقيدة تنعكس ولا بد على أخلاق معتقدها، فالطريق لتصحيح الأخلاق هو تصحيح العقيدة (فالسلوك ثمرة لما يحمله الإنسان من معتقد، وما يدين به

من دين، والانحراف في السلوك ناتج عن خلل في المعتقد، فالعقيدة هي السنة، وهي الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يتفرع عن هذه الأصول، ويلحق بها مما هو من أصول الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا؛ فإذا صحت العقيدة، حسنت الأخلاق تبعًا لذلك؛ فالعقيدة الصحيحة (عقيدة السلف) عقيدة أهل السنة والجماعة التي تحمل صاحبها على مكارم الأخلاق، وتردعه عن مساوئها.

كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[1].

عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا، وَإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة.[2]

العبادات:

إنَّ (العبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركانًا في الإيمان به ليست طقوسًا مبهمة في النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة، وحركات لا معنى لها، كلا، كلا، فالفرائض التي ألزم الإسلام بها

(١) رواه الترمذي، برقم بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ المَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، برقم ١١٦٢، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وقال الالباني حديث حسن صحيح ،وفي السلسلة الصحيحة برقم ١٥٩٠، وصحيح الجامع برقم ١٢٣٠.

(٢) رواه البزار (١٤/ ٣١)، وأبو يعلى (٧/ ١٨٤). قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦١): رجاله ثقات. وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٦/ ١٩): إسناده رواته ثقات.وصححه الالباني في الصحيحة ١٥٩٠، وفي صحيح الجامع برقم ١٥٧٨.

كل منتسب إليه، هي تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل مستمسكًا بهذه الأخلاق، مهما تغيرت أمامه الحياة.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة، يكشفان -بوضوح- عن هذه الحقائق.

فالصلاة الواجبة عندما أمر الله بها أبان الحكمة من إقامتها، ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (العنكبوت: ٤٥).

فالابتعاد عن الرذائل، والتطهير من سوء القول وسوء العمل، هو حقيقة الصلاة.

والزكاة المفروضة هي- غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات.

وقد نص القرآن على الغاية من إخراج الزكاة بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (التوبة: ١٠٣).

فتنظيف النفس من أدران النقص، والتسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى.

وكذلك شرع الإسلام الصوم، فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائمًا من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة.

وإقرارًا لهذا المعنى جاء التوجيه النبوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي

أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(١)

وقد يحسب الإنسان أن السفر إلى البقاع المقدسة - الذي كلف به المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام على بعض أتباعه - يحسب الإنسان هذا السفر رحلة مجردة عن المعاني الخلقية، ومثلًا لما قد تحتويه الأديان أحيانًا من تعبدات غيبية. وهذا خطأ، إذ يقول الله تعالى -في الحديث عن هذه الشعيرة- ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ (البقرة: ١٩٧).

فالحج تدريب للنفس على الترفع عن زخارف الحياة وترفها؛ فيتزيَّا الحاجُّ بأخلاق الإيثار، والتواضع، والسلام.

۞ الارتباط بالقرآن الكريم:

لا شك أن القرآن كتاب هداية ومنهج حياة، ولا شك أن الارتباط به قراءة وتدبرًا وعملًا من أعظم الوسائل لتحقيق الهداية والحياة الكريمة والأخلاق الفاضلة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ (الإسراء: ٩).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى: ٥٢).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: ٥٧).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، بَابُ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ، برقم ١٩٠٣، ٣/ ٢٦.

قال ابن كثير: (﴿مَّوْعِظَةٌ﴾: زاجر عن الفواحش، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، أي: من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، أي: محصل لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين)[1].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (النحل: ٨٩).

قال السعدي: (يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم)[2].

وقال الشنقيطي: (هذه الآية الكريمة أجمل الله جَلَّ وَعَلَا فيها جميع ما في القرآن من الهدي إلى خير طريق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة)[3].

وكم في هذا الكتاب العظيم من توجيه وهداية، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ (البقرة: ٢٣١).

فقد اشتمل القرآن الكريم على الأمثال والقصص والعبر هداية لخيري الدنيا والآخرة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٢١٠).

(٢) تفسير الكريم المنان، للسعدي (٣/ ٧٠٨).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي، (٣/ ٤٠٩).

■ أ - الأمثال القرآنية:

الأمثال القرآنية من أفضل الوسائل لغرس القيم الإسلامية وتهذيب النفوس والأفكار، وتغيير السلوك والاعتبار، ومن خلالها يعيد المرء ترتيب نفسه بالتفكير والإمعان، والعمل على إصلاح النفس وتربيتها.

■ ب - القصص القرآني:

للقصص القرآني أثر بالغ في نفس القارئ والسامع، تهفو لها النفوس، وتطمئنُّ بها القلوب، وتسمو بها الأرواح، فيها من السحر الأخَّاذ للسمع والفؤاد، وفيها من الفوائد والعبر والدروس والإرشاد والدلالات لمن أمعن النظر، وألقى السمع وهو شهيد.(١)

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأخلاق، ويدلنا على أصالة هذا المصدر أنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق العظيم تصفه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عندما سألها قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»(٢).

ومعنى ذلك كما يقول ابن كثير: (أنَّه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خلقًا له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين)(٣).

---

(١) موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، ص (١١٦- ١٣٣).

(٢) رواه مسلم، كِتَابُ صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ جَامِعِ صَلاَةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ، (١/ ٥١٢) حديث رقم (٧٤٦).

(٣) الفصول في السيرة، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، ط ٣، ١٤٠٣ هـ، ص (٢٦٤).

التدريب العملي والرياضة النفسية:

إن التدريب العملي والممارسة التطبيقية ولو مع التكلف في أول الأمر، وقسر النفس على غير ما تهوى، من الأمور التي تكسب النفس الإنسانية العادة السلوكية، طال الزمن أو قصر.

والعادة لها تغلغل في النفس يجعلها أمرًا محببًا، وحين تتمكن في النفس تكون بمثابة الخلق الفطري، وحين تصل العادة إلى هذه المرحلة تكون خلقًا مكتسبًا، ولو لم تكن في الأصل الفطري أمرًا موجودًا.

«ومن المعلوم أن في النفس الإنسانية استعدادًا فطريًّا لاكتساب مقدار ما من كلِّ فضيلة خلقية، وبمقدار ما لدى الإنسان من هذا الاستعداد تكون مسؤوليته، ولو لم يكن لدى النفوس الإنسانية هذا الاستعداد لكان من العبث اتخاذ أية محاولة لتقويم أخلاق الناس. والقواعد التربوية المستمدة من الواقع التجريبي تثبت وجود هذا الاستعداد، واعتمادًا عليه يعمل المربون على تهذيب أخلاق الأجيال التي يشرفون على تربيتها»[(١)] وقد ورد في الأثر: إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه»[(٢)].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»[(٣)].

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (١/ ١٩٧).

(٢) حسنه الألباني في الصحيحة برقم (٣٤٢)، (١/ ٦٧٠).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (٢/ ١٢٢)، حديث رقم (١٤٦٩)، صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب فضل التعفف والصبر، (٢/ ٧٢٩)، حديث رقم (١٠٥٣).

وضرب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلًا دلَّ فيه على أنَّ التدريب العملي ولو مع التكلف يكسب العادة الخلقية، حتى يصير الإنسان معطاء غير بخيل، ولو لم يكن كذلك أول الأمر.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان[(١)] من حديد من ثديهما إلى تراقيهما[(٢)]، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده، حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع»[(٣)].

«فدلَّ هذا الحديث على أن المنفق والبخيل كانا في أول الأمر متساويين في مقدار الدرعين. أما المنافق فقد ربت درعه بالإنفاق حتى غطت جسمه كلِّه، بخلاف البخيل الذي لم يدرب نفسه على الإنفاق، فإن نفسه تكز، والله يضيق عليه من وراء ذلك، فيكون البخل خلقًا متمكنًا من نفسه مسيطرًا عليها»[(٤)].

«ومن ذلك نفهم أمرين: فطرية الخلق، وقابليته للتعديل بالممارسة والتدريب العملي، إنَّ المنفق كان أول الأمر كالبخيل يشبهان لابسي درعين من حديد متساويين، ويبدو أن الدرع مثال لما يضغط على الصدر عند إرادة النفقة، فمن يتدرب على البذل تنفتح نفسه كما يتسع الدرع؛ فلا يكون له ضغط، وأما من يعتاد الإمساك فيشتد ضاغط البخل على صدره، فهو يحس بالضيق الشديد كلما أراد

(١) جبتان من حديد: أي درعان. انظر (شرح النووي على مسلم ٧/ ١٠٨).

(٢) التراقي جمع ترقوه، والترقوتان هما العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق، (عمدة القاري) للعيني (٨/ ٣٠٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، (٢/ ١١٥) حديث رقم (١٤٤٣).

(٤) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢ (٨/ ٣٠٨).

البذل، ومع مرور الزمن يتصلب هذا الضاغط.

واعتمادًا على وجود الاستعداد الفطري لاكتساب الخلق، وردت الأوامر الدينية بفضائل الأخلاق، ووردت النواهي الدينية عن رذائل الأخلاق.

ولكن من الملاحظ أنه قد يبدأ التخلق بخلق ما عملًا شاقًّا على النفس، إذا لم يكن في أصل طبيعتها الفطرية، ولكنه بتدريب النفس عليه، وبالتمرس والمران، يصبح سجية ثابتة، يندفع الإنسان إلى ممارسة ظواهرها اندفاعًا ذاتيًّا، دون أن يجد أية مشقة أو معارضة أو عقبة من داخل نفسه، ولئن وجد شيئًا من ذلك فإنَّ دافع الخلق المكتسب يظلُّ هو الدافع الأغلب، بشرط أن يكون التخلق قد تحول فعلًا إلى خلق مكتسب.

وليس التدريب النفسي ببعيد الشبه عن التدريب الجسدي، الذي يكتسب به المهارات العملية الجسدية»[1].

علو الهمة:

الهمة: «الهمة» بالكسر: العزم، وقد تطلق على العزم القوي، فيقال: له همة عالية»[2].

والمراد: أن همة العبد إذا تعلقت بالحق تعالى طلبا صادقا خالصا محضا. فتلك هي الهمة العالية، التي لا يتمالك صاحبها أي: لا يقدر على المهلة. ولا يتمالك

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (١/ ١٩٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (٥/ ٣٤٩).

صبره؛ لغلبة سلطانه عليه. وشدة إلزامها إياه بطلب المقصود، ولا يلتفت عنها إلى ما سوى أحكامها. وصاحب هذه الهمة: سريع وصوله وظفره بمطلوبه. ما لم تعقه العوائق، وتقطعه العلائق»[(١)].

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويبغض سفسافها»[(٢)].

«وسفسافها: أي حقيرها ورديئها، وشرف النفس أن يصونها عن الدنايا، والهمة العالية لا تزال بصاحبها تزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل، حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض، إلى أعلى مقامات المجد، والسؤدد»[(٣)].

«فَمن علت همته وخشعت نَفسه اتّصف بِكُل خلق جميل وَمن دنت همته وطغت نَفسه اتّصف بِكُل خلق رذيل»[(٤)].

فإذا حرص المرء على اكتساب الفضائل، وألزم نفسه على التخلق بالمحاسن، ولم يرض من منقبة إلا بأعلاها، ولم يقف عند فضيلة إلا وطلب الزيادة عليها، نال مكارم الأخلاق.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (٣/ ٦).

(٢) الآداب، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، وَسَلاَمَةِ الصَّدْرِ وَلِينِ الْجَانِبِ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (١/ ٦٤)، حديث رقم (١٥٧)، وصحح إسناده الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٣٧٨) (٣/ ٣٦٦).

(٣) موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، ص ٧٢.

(٤) الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م، (١/ ١٤٤).

القدوة الحسنة:

تعني القدوة هنا أن يكون المربي أو الداعي مثالًا يحتذى به في أفعاله وتصرفاته، وقد أشاد القرآن الكريم بهذه الوسيلة فقال عزَّ من قائل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

وقد كان المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يزال قدوة للمسلمين جميعًا، والقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام بكلِّ ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

«ولأثر القدوة في عملية التربية، وخاصة في مجال الاتجاهات والقيم، كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو قدوة المسلمين طبقًا لما نص عليه القرآن الكريم، وقد استطاع بفضل تلك القدوة أن يحمل معاصريه قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال فقط، وإنما بالسلوك الواقعي الحي، وقد حرصوا على تتبع صفاته وحركاته، ورصدها والعمل بها، وما ذلك إلا حرصًا منهم على تمثل أفعاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد كان المثل الأعلى لهم»[(١)].

وقد تمثلت في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صفات جليلة جعلت منه قدوة بالفعل.

«والقدوة الحسنة هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالًا حسيًّا مشاهدًا ملموسًا يُقتدى به، وقد يكون مثالًا حاضرًا في الذهن بأخباره، وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من سير، وقصص، وأنباء من أقوال أو أفعال.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط الرابعة، (١/ ١٤٣).

والقدوة الحسنة تكون للأفراد على صفة أفراد مثاليين ممتازين، وتكون للجماعات على صفة جماعات مثالية ممتازة»[1].

ووجه القرآن الكريم بصراحة تامة إلى القدوة الحسنة، فقال الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب: ٢١).

۞ مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة:

فالمرء مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه، ومجالسة الأخيار تكسب المرء الصلاح والتقوى، والاستنكاف عنهم ينكب عن الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (التوبة: ١١٩).

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ (الفرقان: ٦٣).

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة»[2].

(العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأنَّ مودة الأخيار

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (١/ ٢٠٣).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، (٧/ ٩٦)، حديث رقم (٥٥٣٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، (٤/ ٢٠٢٦) حديث رقم (٢٦٢٨).

سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار، لم يسلم من الدخول في جملتهم، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب؛ لئلا يكون مريبًا، فكما أنَّ صحبة الأخيار تورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر)[1].

قال ابن الجوزي: (ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإنَّ الطبع يسرق؛ فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله)[2].

الغمس في البيئات الصالحة:

ومن وسائل اكتساب الأخلاق الفاضلة الغمس في البيئات الصالحة، وذلك لأن من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها ويتعايش معها، ما لديها من أخلاق وعادات وتقاليد وأنواع سلوك، عن طريق السراية والمحاكاة والتقليد، وبذلك تتم العدوى النافعة أو الضارة.

«فالبيئة تؤثر سلباً أو إيجاباً في تربية الإنسان أيما تأثير، والشياطين تجتال، وتخطف، وهؤلاء الشياطين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فهم يقعدون للناس كل مرصد، ويقطعون عليهم كل طريق خير، وقد كشف عن هويتهم للناس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ص (٨٠).

(٢) صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص(٤٢٥).

فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ (الأنعام: ١٥٣)[1]»[2].

والبيئة لها تأثير في سلوك الشخص إما إيجابًا أو سلبًا، عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا».[3]

ففي ذلك إشارة إلى أن البيئة الطيبة، الصالحة، تكون ثمارها -بإذن الله- صالحة، ومثلها البيئة الطالحة؛ تكون ثمارها غالبًا متأثرة بتلك البيئة: «ذلك أنه كما أن الأمراض تنتقل بالعدوى، كذلك الأمراض الأخلاقية والاجتماعية تنتقل بالتقليد والمحاكاة والعادات الاجتماعية، فقل أن يبقى شخص سليما إذا كان يعيش في بيئة اجتماعية موبوءة بالأمراض، وكذلك الأمر بالنسبة للأمراض الاجتماعية، ومنها سوء الأخلاق، قال سبحانه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ (الأعراف: ٥٨)﴾».[4]

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، باب اتباع سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (١/ ٦) حديث (١١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، مكتبه المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ، ج١، ص ٢١ حدبث (١١).

(٢) التربية الوقائية في الإسلام، خليل الحدري، جامعة أم القرى، مكة، ط ١، ١٤١٨هـ، ص ٥٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٤/ ٢١٩٧) حديث رقم (٢٨٦٥).

(٤) التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، د مقداد يلجن، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ١٩٩.

وفي السنة شاهد على ضرورة حث التائب على البحث عن البيئة المحافظة، عن أبي سعيد الخدري، أن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

فالبيئة الصالحة تكسب المرء أخلاقا فاضلة وقيماً عظيمة.

الاختلاف إلى أهل الحلم والفضل وذوي المروءات:

فإذا اختلف المرء إلى هؤلاء، وأكثر من لقائهم وزيارتهم؛ تخلق بأخلاقهم، وقبس من سمتهم ونورهم: «عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرحلون إليه، فينظرون إلى سمته، وهديه، ودله، فيتشبهون به»[2] وتعلم الأخلاق والأخذ بها من أولويات العلم قال ابن سيرين «كانوا يتعلمون

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٤/ ٢١١٨)، حديث رقم (٢٧٦٦).

(٢) غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط ١، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، (٣/ ٣٨٣).

الهدي كما يتعلمون العلم»[١].

وقد كان السلف يحثون أبناءهم وتلاميذهم على تعلم الأدب والأخلاق قبل تعلم العلم عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: قال لي أبي: «يا بني، إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إلي لك من كثير من الحديث»[٢].

■ **والمرء إذا رافق العلماء وأهل الفضل والمروءة استفاد منهم فوائد عظيمة:**

أ - اكتساب الأخلاق الفاضلة التي تعينه على الدعوة.

ب - يحصل ما يغرسه في نفوس المدعوين.

ت - الهمة العالية في الدعوة إلى الله وتحمل المشقة في ذلك.

ث - السمت والوقار الذي هو شعار أهل الفضل والقدوات الكبار.

ج - القدوة الحسنه في تحقيق القيم والأخلاق الفاضلة.

۞ إدامة النظر في السيرة النبوية:

فالسيرة النبوية تضع بين يدي قارئها أعظم صورة عرفتها الإنسانية، وأكمل هدي وخلق في حياة البشرية، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب: ٢١).

قال ابن حزم: «من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ط ٢ (١/ ٧٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (١/ ٨٠).

على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها؛ فليقتد بمحمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليستعمل أخلاقه، وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به، بمنه، آمين»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[(٢)].

وبدراسة السيرة النبوية يتم حسن الاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعرفة شمائله، فإنها تنبه الإنسان على مكارم الأخلاق، وتذكره بفضلها، وتعينه على اكتسابها، والشمائل: جمع شمال، وهي السجايا والأخلاق التي كان عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)].

قال إبراهيم الحربي: (ينبغي للرجل إذا سمع شيئًا من آداب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتمسك به)[(٤)].

(ولذا حرص الصحابة رضوان الله عليهم واهتموا اهتمامًا كبيرًا، وتخلقوا بالأخلاق الحسنة، مستندين في ذلك إلى ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق)[(٥)].

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (١/ ٢٤).

(٢) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (١/ ١٠٤) برقم (٢٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/ ١١٨) برقم ٢٠٧، وصحيح الجامع، (١/ ٤٦٤) برقم ٢٣٤٩

(٣) موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، ط ٢، ١٤١٨ه مؤسسة علوم القرآن. ص ٨٧.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي ١/ ١٤٢.

(٥) موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، ص٨٧

النظر في سير الصحابة الكرام، وأهل الفضل والحلم:

السلف الصالح أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الذين ورثوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هديه، وسمته، وخلقه، فالنظر في سيرهم، والاطلاع على أحوالهم يبعث على التأسي بهم، والاقتداء بهديهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الأحزاب: ٢٣).

«إن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة، ولذوي المعارف محبوبة، ففي مدارسة أخبارهم شفاء للعليل، وفي مطالعة أيامهم إرواء للغليل، فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها؟! وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟! تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة عذبًا صافيًا زلالًا، وأيدوا قواعد الإسلام، فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالًا»[(١)].

«واعلم تحقيقًا أنَّ أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة، وأعرفهم بطريق الصحابة، فمنهم أخذ الدين، ولذلك قال علي رضي الله عنه: خيرنا أتبعنا لهذا الدين»[(٢)].

وكذلك قراءة سير التابعين، ومن جاء بعدهم في تراجمهم؛ مما يحرك العزيمة على اكتساب المعالي ومكارم الأخلاق؛ ذلك أنَّ حياة أولئك تتمثل أمام القارئ، وتوحي إليه بالاقتداء بهم، والسير على منوالهم.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (١٥/ ١).

(٢) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين الغزي العامري، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص (١٣٨).

«وجدير بمن لازم العلماء بالفعل أو العلم أن يتصف بما اتصفوا به، وهكذا من أمعن النظر في سيرتهم أفاد منهم، وهكذا كان شأن السلف الصالح، فأول ذلك ملازمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخذهم بأقواله وأفعاله، واعتمادهم على ما يرد منه، كائنًا ما كان، وعلى أي وجه صدر... وإنما ذلك بكثرة الملازمة، وشدة المثابرة... وصار مثل ذلك أصلًا لمن بعدهم؛ فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففقهوا، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، والأخلاق العلية»[1].

❊❊❊

(١) موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، ص (٨٨).

الفصل الرابع

مفهوم المهنة والعمل ومكانتهما

أولًا: مفهوم المهنة والعمل:

١) **المهنة: لغةً:** الحِذْق بالخدمة والعمل ونحوه[١].

واصطلاحًا: يرى بعض الباحثين أن للمهنة إطلاقين[٢]: عام، وخاص:

أ - **الإطلاق العام:** «بذل النفس في صنعة أو عمل، ولو بدون مقابل».

ب - **الإطلاق الخاص:** وهو المراد عند إطلاق مصطلح المهنة[٣]؛ فتطلق على: «النشاط الحياتي الذي يتخذه المرء وسيلة لكسب معاشه وإعالة أهله».

أما التعريف المختار للمهنة فإنها: «مجموعة من الأعمال تتطلب مهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية»[٤].

٢) **العمل لغةً:** المهنة والفعل[٥]. ويقال: أعمل فلان ذهنه في كذا وكذا، إذا تدبره بفهمه[٦].

واصطلاحًا: ينقسم مفهوم العمل إلى مفهوم عام ومفهوم خاص:

---

(١) انظر: لسان العرب: مادة (م هـ ن)، مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي: (٦٣٨).

(٢) انظر: المهنة وأخلاقها" دراسة فقهية مقارنة بالقوانين الكويتية،د.سعد الدين الهلالي: (٥٠).

(٣) انظر: القوى العاملة تخطيط وظائفها وتقويم أدائها، منصور أحمد منصور: (١٩).

(٤) أخلاقيات العمل، د. بلال خلف السكارنة: (٢٧).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (ع م ل).

(٦) تهذيب اللغة، الأزهري: (٢/ ١٧٠).

أ - المفهوم العام: يقصد به كل فعل يقوم به الإنسان عن قصد، ويدخل فيه العمل المهني بمفهومه الواسع، وكذلك أعمال الخير والشر وغيرها، بهدف مادي أو معنوي، دنيوي أو أخروي.

ب - المفهوم الخاص: وهو ما نقصده في هذا المقرر؛ إذ يتعلق بالناحية الإنتاجية لكل ما يزاوله الإنسان من أنشطة مادية أو فكرية بقصد المنفعة.

وعليه، فالعمل اصطلاحًا: «كل نشاط جسمي أو عقلي يقوم به الإنسان بهدف الإنتاج في مؤسسة حكومية أو خاصة، أو في حرفة أو مهنة»[(١)].

■ أركان العمل:

للعمل ركنان أساسيان، هما: النشاط والإنتاج.

١) النشاط: وهو لب العمل سواء كان نشاطًا جسديًّا أو ذهنيًّا.

٢) الإنتاج: وهو هدف العمل[(٢)].

۞ ثانيًا: مكانة المهنة والعمل

العمل أداة التطور ووسيلة البناء والتقدم الحضاري للأمم والشعوب قديمًا وحديثًا. وسنستعرض ذلك من جانبين:

■ الجانب الأول: مكانة المهنة والعمل في بناء الأمة:

العمل والكسب واجب على كل إنسان قادر على العمل مهما ارتفع شأنه؛ وذلك لاكتساب المال بطريق مشروع ومباح، للإنفاق منه على نفسه، ومن تلزمه نفقته.

---

(١) انظر: أخلاقيات المهنة، رشيد عبد الحميد، ومحمود الحياري: (٩).

(٢) انظر: أخلاقيات المهنة في الإسلام، د. عصام الحميدان: (٤٨).

يقول ابن خلدون: «فلا بد من الأعمال الإنسانية في كل مكسوب ومتمول، لأنه إن كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهر، وإن كان مقتنىً من الحيوان أو النبات أو المعدن فلا بد فيه من العمل الإنساني... وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاع»[(١)].

١) عمارة الأرض وإصلاحها:

قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١). وذلك قيام بواجب الاستخلاف، والعمل على إصلاح الأرض وعمارتها.

وفي السنة النبوية: يقرن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين صلاح الآخرة وصلاح الدنيا، فيقول كما روى أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[(٢)].

٢) تحقيق عزة الأمة وإقامة الدين:

إن تحقيق العزة والمنعة لأمتنا يتطلب منا أن نمتلك القوة في كافة صورها، ولا سيما القوة الاقتصادية، والعمل هو الوسيلة الأولى لتحقيق ذلك.

ولقد أراد الله للأمة المسلمة أن تكون خير أمة، ولها الريادة والسبق على غيرها بما تملكه من منهج ورسالة صالحة مصلحة؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (آل عمران :١١٠).

وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ

(١) المقدمة، لابن خلدون: (١/ ٣٨١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث: (٢٧٢٠).

مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج:٧٨).

وتنافس الحضارات اليوم يسيطر عليه غالبًا مع الأفكار والنظم الجانب المهني والتقني، وبقدر تقدم أي أمة في هذا المجال تُوصف بالرقيِّ والتحضر، وهذا المفهوم وإن لم نتفق عليه في جملته إلا أنه واقع لا بد من الاعتراف به، والتعامل معه.

٣) دفع المفاسد المترتبة على البطالة والفراغ:

فما حلت البطالة بمجتمع أو أمة إلا حاق بها الفساد، حيث تنشأ عنها مساوئ ومفاسد كثيرة، منها انتشار الجرائم بأنواعها، والانشغال بالعمل دفع لهذه المفسدة العظيمة.

■ الجانب الثاني: دعوة الإسلام إلى العمل والتكسب[١]:

لما كانت حياة الأمة وقوتها وتميزها تطرد بمدى تنظيم اقتصادها، ومن أهم أسس الاقتصاد القوي ومقوماته العمل، فقد أولى الإسلام اهتماما بالغا بالعمل والعمال وكرمهم أحسن تكريم.يدل على ذلك:

١) كثرة النصوص التي تحث على العمل:

فقد تكررت كلمة العمل وتصاريفها في القرآن الكريم (٣٥٩) مرة، ووردت كلمة السعي (٣٠) مرة، وكلمة الكسب (٦٧) مرة، وكلتاهما وطيدة الصلة بالعمل[٢].

(١) انظر: كتاب الحث على التجارة والصناعة، لأبي بكر الخلال، حكم العمل في الإسلام، عبد الرحمن بكر: (٤١) وما بعده، مقومات العمل في الإسلام، عبد السميع المصري: (٢٨) وما بعده، محمد رسول الله والحقوق، أ.د. أحمد المزيد: (٩٠).

(٢) انظر: أخلاق المهنة أصالة إسلامية ورؤي عصرية، د. سعيد الغامدي وآخرون: (٨٦).

فمن ذلك قولُهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (الملك:١٥).

أي: «هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق يُتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب»[1].

كما امتن الله تعالى على عباده بأن جعل في الأرض معايش عديدةً ووسائل متنوعة للاكتساب. قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (الحِجْر:١٩-٢٠).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الجمعة:١٠)، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لطلب المكاسب والتجارات»[2].

٢) تعليم الله بعض أنبيائه جملة من الصنائع:

فكانوا عليهم الصلاة والسلام يعملون لكسب عيشهم، دون أن يكونوا عالة على الناس، إنهم قدوة لأمتهم.

قال عَزَّوَجَلَّ عن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء:٨٠).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي: (٨٧٧).

(٢) المرجع السابق: (٨٦٣).

فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة، وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضًا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثا، ونوح نجارًا، ولقمان خياطا، وطالوت دباغا. وقيل: سقاء، فالصنعة يكفُّ بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ! فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[(٢)] لِأَهْلِ مَكَّةَ»[(٣)].

٣) إقران العمل بالجهاد في سبيل الله :

قالَ تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (المزمل: ٢٠).

قال القرطبي: «في هذه الآية بيَّن درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله»[(٤)].

٤) ترغيب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العمل، ومحاربته التواكل والكسل:

* كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعد بنفسه شئون دولته الناشئة، فاتجهت

(١) السابق: (١١/ ٣٢١).
(٢) القراريط: جمع قيراط وهو من أجزاء الدينار.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، حديث: (٢٢٦٢).
(٤) الجامع لأحكام القرآن:للقرطبي (١٩/ ٥٥٥).

عنايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاستصلاح الأراضي، وتشغيل الأيدي القادرة على العمل؛ فأعلن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما روت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»(١).

* وحثَّ على الزراعة؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنْ قَامَت السَّاعةُ وَبيَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ، فَإِنْ استَطاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَفعل»(٢).

* وشجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العمل بالتجارة، وأعلى من مكانة التاجر الأمين؛ حتى رفعه إلى درجة النبيين والصدِّيقين والشهداء؛ ما التزم الأمانة والصدق في مهنته؛ ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء»(٣).

* واحترم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحاب المهن وكرمهم؛ فمن ذلك حديثُ سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ»(٤). واستجاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدعوة خياط يدعوه لطعام كما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضًا مواتًا، حديث: (٢٣٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أنس بن مالك، حديث: (١٢٩٨١). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في التجار وتسمية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياهم، حديث: (١٢٠٩)، قال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: من استعد الكفن في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم ينكر عليه، حديث: (١٢٧٧).

روى ذلك أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

* وحارب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البطالة؛ فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»[2].

❊❊❊

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأطعمة، باب: الثريد، حديث: (٥٤٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضا وإن كانوا ضيفانا إذا لم يكره ذلك صاحب الطعام، حديث: (٢٠٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، حديث: (٢٠٧٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس، حديث: (١٠٤٢).

الفصل الخامس

شروط المهنة في الإسلام

إن ضوابط ممارسة العمل المهني والوظيفي هي في الحقيقة أحكام شرعية يلزم المسلم التخلق بها، وتتمثل هذه الشروط فيما يلي:

الشرط الأول: أن يكون العمل مشروعًا:

* فيجب أن يكون العمل بذاته والهدف منه غير محرم شرعا، فالطيب الحلال هو الأساس الذي يقوم عليه طلب الرزق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ (البقرة:١٧٢).
* وقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ (المائدة:٤).
* وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»(١).
* فيحرم التعامل بالربا؛ لأنه محرم لقوله سبحانه: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٦).
* وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، حديث: (٦٤٢٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، حديث: (١٠٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: لعن آكل الربا ومؤكله، حديث: (١٥٩٨).

* ويحرم اكتساب المال بالغش؛كالتطفيف في الكيل ونحوه، قال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ (المطففين: ١ - ٣).

* وكان عبدالله بن أُبيّ بن سلول - زعيم المنافقين - يستغل جاريتين يعملان عنده في اكتساب المال بالزنا قبل الإسلام، فلما أسلمتا تأثَّمتا من ذلك، فأجبرهما، فأنزل الله تعالى فيه وفيهما: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٣﴾ (النور: ٣٣) أي: غفورٌ رحيم لهنّ لا له[1].

* وقد نص العلماء على ما يحرم من المعاملات وذلك معروف في مظانه من كتب الفقه، وهي قليلة إذا ما قورنت بالحلال المباح من المعاملات[2]، يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأصل في العبادات: أن لا يشرع فيها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات: أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله»[3]

* **وقد اشترط نظام العمل أن يكون نشاط المهنة أو العمل في الأمور المباحة، وشدد في مادته الثالثة والستين بأن:**

* «على صاحب العمل أو وكيله أو أي شخص له سلطة على العمال، منع دخول أي مادة محرمة شرعا إلى أماكن العمل، ويطبق بحق من وجدت لديه أو من تعاطاها العقوبات المقررة في هذا النظام، مع عدم الإخلال بالعقوبات الشرعية».

---

(١) انظر: تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر: (١٩/ ١٧٤).

(٢) انظر للمزيد: المهنة وأخلاقها، د. سعد الدين هلالي: (٢٤١، ٢٤٢) بتصرف يسير.

(٣) الاعتصام:للشاطبي (١/ ٣٧).

* فإذا كان دخول المواد المحرمة شرعا ممنوع في أماكن العمل، فمن باب أولى إذا كان نشاط الشركة أو المؤسسة قائما على المحرم، والعقوبة في هذه الحالة مركبة من العقوبة الشرعية والعقوبة النظامية.

الشرط الثاني: أن يكون نافعًا:

* فالهدف من الوظيفة أن ينفع الإنسان نفسه، ومجتمعه، ووطنه، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[1].

* والنفع أبوابٌ كثيرة؛ منها الاجتماعي، والاقتصادي، والأخلاقي، ولا خير في وظيفة لا نفع فيها، فضلاً عن كونها ضارّة؛ والضرر يشمل: الضرر المعنوي، والأخلاقي، والحسّي.

* **فالضرر المعنوي منه:** هو الإضرار بعقيدة الإنسان وفكره، كإنتاج أفلامٍ أو إصدارات إلكترونية تشكك في العقيدة الإسلامية، أو تنشر الإلحاد أو النصرانية، أو طباعة الكتب التي تتناول ذلك.

* **والضرر الأخلاقي:** هو إفساد أخلاق المجتمع؛ كشركات الإعلام الفاضحة، وإشاعة العري، ومواقع الانترنت الإباحية، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: صدقة الكسب والتجارة، حديث: (١٤٤٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث: (١٠٠٨).

* **والضرر الحسِّي:** هو الإضرار بالجسد والصحة، مثل تأسيس شركات التدخين أو الخمور والعمل فيها، أو زراعة المخدرات أو تصنيعها، أو صناعة المنتجات الضارة بالصحة كالأدوية المقلَّدة والمغشوشة، أو تسويق وإنتاج الموادّ الغذائية النباتية والحيوانية المطعّمة بالكيماويات الضارَّة أو المتغذِّية بها.

* فإذا تضمنت الوظيفة ضرراً متيقَّناً على النفس، أو المجتمع، أو البلد، حرُمت؛ لأن الضرر منصوصٌ على تحريمه في الشرع[1]، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ»[2].

الشرط الثالث: إبرام العقد والوفاء به:

* شرع الإسلام العقد بين العامل وصاحب العمل على وجهِ التراضي وانتفاء الغرر؛ وذلك لضبط العملِ، وضمانا للحقوق والواجبات، وقد ألزمت الشريعة المتعاقدَينِ الوفاء ببنود العقد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة:١).

* والعقد: «هو اتفاق يتعهد بمقتضاه الطرفان: بأن يعمل أحدهما (العامل) عند الآخر (صاحب العمل) مقابل أجر معلوم».

* ولم يفرض الإسلام صيغة معينة للعقد، بل ترك للطرفين صياغته بما يحفظ حقوقهما بناء على ما اتفقا عليه من شروط؛ بما لا يخالف الشريعة؛

---

(١) انظر: أخلاقيات المهنة في الإسلام، د. عصام الحميدان: (١٤٥ ـ١٤٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسند، مسند ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث: (٢٨٦٥). والحاكم في المستدرك، كتاب: البيوع، حديث: (٢٣٤٥)، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه النووي.

فلا يجوز أن يشتمل العقد على محرم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ»(١).

* وقد شرع الله تعالى توثيق العقود كتابة، كما جاء في كتابة الدين؛ مخافة نسيان أو غيره من أي من الطرفين، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ (البقرة:٢٨٢).

* **وقد راعى نظام العمل هذا الشرط في أكثر من موضع؛ فمنع تشغيل العامل في غير ما اتفق عليه في العقد ففي المادة الستين منه:**

* «لا يجوز تكليف العامل بعمل يختلف اختلافا جوهريا عن العمل المتفق عليه بغير موافقته الكتابية، إلا في حالات الضرورة التي قد تقتضيها ظروف عارضة ولمدة لا تتجاوز ثلاثين يوما في السنة».

* **وفي المادة الثمانين منه أيضًا:**

* «إذا لم يؤد العامل التزاماته الجوهرية المترتبة على عقد العمل، أو لم يطع الأوامر المشروعة أو لم يراع عمدا التعليمات - المعلن عنها في مكان ظاهر من قبل صاحب العمل - الخاصة بسلامة العمل والعمال رغم إنذاره كتابة».

» **وينبغي أن يشتمل العقد على:**

١) بيان نوع العمل وحجمه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: البيع والشراء مع النساء، حديث: (٢١٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: العتق، باب: إنما الولاء لمن أعتق، حديث: (١٥٠٤).

٢) بيان المدة المشروطة للعمل.

٣) ألا يشكل خطرا على حياته أو تهديدا لصحته.

* وقد نص نظام العمل في المادة الحادية والثمانين أنه إذا تعرض العامل للضرر المتعمد فإنه يجوز له ترك العمل قبل نهاية العقد بدون سبق إعلان: «إذا كان في مقر العمل خطر جسيم يهدد سلامة العامل أو صحته، بشرط أن يكون صاحب العمل قد علم بوجوده، ولم يتخذ من الإجراءات ما يدل على إزالته».

» تحديد أجرة العمل[١].

* وقد شدَّد الإسلام على الوفاء بالعقود فيما يتعلق بالأجر المتفق عليه، فمتى أنجز العامل عمله أعطي أجره بلا مماطلة، أو ظلم أو منٍّ، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن المرضع المستأجرة: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الطلاق:٦).

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَالَ اللهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»[٢].

* وفي المقابل يعلي الإسلام من شأن صاحب العمل الذي يوفي لعامله أجره، ويحافظ له عليه حتى ولو نسيه العامل، وقد ورد ذلك في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، التي رواها ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٣].

---

(١) الوجيز في أخلاقيات العمل، أ.د. أحمد دواد المزجاجي:(١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: إثم من منع أجر الأجير، حديث: (٢٢٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، حديث: (٢٢٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، حديث: (٢٧٤٣).

الشرط الرابع: أن لا يؤدي العمل إلى أمر محرم:

* فمن شروط العمل أن لايؤدي إلى أمر محرم؛ فربما يكون العمل في أصله مشروعا، لكنه يؤدي إلى ارتكاب محرم، فيصبح العمل محرما لأجل ذلك، مثل: جمع العنب أو بيعه لمن يجعله خمرًا، والعمل في الأندية والملاهي المحرمة، وبيع السلاح لمن يحارب المسلمين أو يهدد أمن بلادهم واستقرارها.

* كما حرم الإسلام كل عمل يؤدي إلى إهلاك العامل أو إلحاق الضرر به، وذلك من باب حفظ الضروريات الخمس وحمايتها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، فكل عمل يخلُّ بتلك الضروريات أو يؤثر عليها سلبا يعد عملا محرما في الشرع.

الشرط الخامس: احترام العامل ومعاملته معاملة لائقة[1]:

* يجب على صاحب العمل أن يتجنب السخرية ممن يعمل تحت يده، أو احتقاره، أو التجسس عليه؛ فشأن ذلك أن يؤدي بالعاملين إلى سوء حالتهم المعنوية، وبالتالي التهاون بالعمل المسند إليهم - بعمد أو بغير عمد - بما يؤثر على قدرتهم على العطاء والإنجاز.

* قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ (الأحزاب:٥٨).

* وعن أبي نَضْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه

(١) الوجيز في أخلاقيات العمل، أ.د. أحمد داود المزجاجي: (١١٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»(١).

* ولنا الأسوة في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يعامل عماله بل خدمه، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَّا صَنَعْتَ»(٢).

* فالعامل أيا كان مستواه التعليمي أو المهني أو الاجتماعي له شأن مهم وأثر بالغ في حياة المجتمع؛ لذا ينبغي حفظ كرامته الإنسانية، واجتناب كل تصرف يتضمن مهانة أو تحقيرا له.

■ **والمعاملة اللائقة للعاملين ركن أصيل في نظام العمل في المملكة العربية السعودية:**

إذ اشترط نظام العمل في المادة الحادية والستين: فقرة ١ أنه يجب على صاحب العمل:

* «أن يعامل عماله بالاحترام اللائق وأن يمتنع عن كل قول أو فعل يمس بكرامتهم أو دينهم».

* ومن السلوك الحسن أن يكون صاحب العمل رفيقا بالعمال، وهذا ما ورد في المادة الحادية والستين بعد المائة:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند حديث رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: (٢٣٤٨٩). قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد: (٣/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث (٦٠٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خلقًا، حديث: (٢٣٠٩).

* «لا يجوز تشغيل الأحداث في الأعمال الخطرة أو الصناعات الضارة، أو في المهن والأعمال التي يحتمل أن تعرض صحتهم أو سلامتهم أو أخلاقهم للخطر، بسبب طبيعتها أو الظروف التي تؤدى فيها».

* وكذلك كما في المادة الثالثة بعد المائة: «يلتزم صاحب العمل بإعطاء فترة للصلاة والطعام والراحة بطريقة تنظمها المنشأة أثناء العمل».

* ومن السلوك الحسن كذلك مراعاة الأعياد الإسلامية؛ كونها مناسبات طيبة، تعين على التواصل الأسري، وصلة الأرحام، ومن ثم جاءت المادة الثانية عشرة بعد المائة: «لكل عامل الحق في إجازة بأجر كامل في الأعياد والمناسبات التي تحددها اللائحة».

* وإذا تعرض العامل لسلوك سيء من صاحب العمل فله ترك العمل دون إنذار، ففي المادة الحادية والثمانين: «يحق للعامل أن يترك العمل دون إشعار، مع احتفاظه بحقوقه النظامية كلها، وذلك في أي من الحالات الآتية: إذا وقع من صاحب العمل أو من أحد أفراد أسرته، أو من المدير المسؤول اعتداء يتسم بالعنف، أو سلوك مخل بالآداب نحو العامل أو أحد أفراد أسرته، إذا اتسمت معاملة صاحب العمل أو المدير المسؤول بمظاهر من القسوة والجور أو الإهانة».

وكل ما تقدم يؤكد على التزام حسن السلوك والخلق الإسلامي مع العمال، والرفق بهم، ومعاملتهم بالمعاملة الإنسانية اللائقة.

❋❋❋

الفصل السادس

أخلاقيات المهنة

المبحث الأول

الأخلاق الوظيفية المحمودة

الخُلق الأول: الأمانة:

تعريف الأمانة: في اللغة:

الأمانة مصدر قولهم: أمن يأمن أمانة أي صار أمينا، وهو مأخوذ من مادّة (أم ن) الّتي تدلّ على سكون القلب، ويقال: أمنت الرّجل أمنا وأمنة وأمانا وآمنني يؤمنني إيمانا، ورجل أمنة: إذا كان يأمنه النّاس ولا يخافون غائلته، وأمنة بالفتح إذا كان يصدّق ما سمع ولا يكذّب بشيء، وقال الجوهريّ: الأمنة: الّذي يصدّق بكلّ شيء وكذلك الأمنة مثال الهمزة، واستأمن إليه دخل في أمانه.

وقال ابن منظور: الأمان والأمانة بمعنى، والأمانة: ضدّ الخيانة. وقال ابن الأثير: الأمنة جمع أمين، وهو الحافظ. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة: ١٢٥) قال أبو إسحاق: أراد ذا أمن، فهو آمن وأمن وأمين.[1]

وفي الاصطلاح:

قال الكفويّ: الأمانة: كلّ ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصّلاة والزّكاة والصّيام وأداء الدّين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، وقال في

(١) (الصحاح (٥/ ٢٠٧١)، ولسان العرب (١٣/ ٢١، ٢٢) مختصرا. ومفردات الراغب (٢٩)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣).

موضع آخر: كلّ ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار فهو أمانة[1].

والأمانة من أبرز أخلاق الرّسل- عليهم الصّلاة والسّلام-. فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب - في سورة الشّعراء- يخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنّ كلّ رسول من هؤلاء قد قال لقومه: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ (الشعراء: آية ١٠٧).

ورسولنا محمّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد كان في قومه قبل الرّسالة وبعدها مشهورا بينهم بأنّه الأمين. وكان النّاس يختارونه لحفظ ودائعهم عنده. ولمّا هاجر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وكلّ عليّ بن أبي طالب بردّ الودائع إلى أصحابها.

وجبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢- ١٩٤).

■ وقد جاء الإسلام وحث على الامانه :

ذكر ابن الجوزيّ- نقلا عن بعض المفسّرين أنّ الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أو جه:[2]

* **أحدها:** الفرائض ومنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأنفال: ٢٧).

* **الثّاني:** الوديعة، ومنه قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ (النساء: ٥٨).

---

(١) الكليات للكفوي (١٧٦، ١٨٦) وانظر « نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ» مجموعة من المختصين ٣/ ٥٠٩.

(٢) نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (١/ ١٠٥، ١٠٦).

* **الثّالث:** العفّة (والصّيانة) ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (القصص: ٢٦).

■ الحث على الامانة في السنه :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٢).

مجالات الأمانة:

الأمانة مجالٌ واسع، فالعبادات أمانة، والأبناء أمانة، والأموال أمانة، والكلمة أمانة، والوظيفة أمانة، والحكم أمانة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ (النساء: ٥٨) يدل على وجوب أداء جميع أنواع الأمانة.

الأمانة الوظيفية:

الأمانة الوظيفية تشمل: الأمانة المالية، والأمانة العلمية، والأمانة في أداء العمل، والأمانة في الوثائق، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصاً على تولية الأمناء؛ فقد قال لأهل نجران (لأبعثن عليكم أميناً حق أمين. فاستشرف له الناس، فبعث أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥) والترمذى (١٢٦٤) وقال حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول (١/ ٣٢٣): حديث صحيح. وصححه الالباني في الصحيحة برقم ٤٢٤ وفي صحيح الجامع برقم ٢٣٧، ١/ ١٠٧، وصحيح الترمذي (١٢٨٧)، و المشكاة (٢٩٣٤)، و الروض النضير (١٦).

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الايمان، بَابُ عَلاَمَةِ المُنَافِقِ، برقم ٣٣، ١/ ١٦.

الأمانة في المال:

من أعظم الأمانة؛ لأن المال محبوبٌ للإنسان، قال سبحانه ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ (العاديات: ٨).

مثال واحد :

» **ومن الأمانة في المال:**

أداء الحقوق للآخرين، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (الأعراف: ٨٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ»[1].

الخُلُق الثاني: العَدل:

تعريف العَدل لغة:

مصدر عدل يعدل عدلا وهو مأخوذ من مادّة (ع د ل) الّتي تدلّ - كما يقول ابن فارس- على معنيين متقابلين: أحدهما يدلّ على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأوّل، وإذا كان العدل مصدرا فمعناه: خلاف الجور وهو ما قام في النّفوس أنّه مستقيم، وقد يستعمل هذا المصدر استعمال الصّفات، فيقال: رجل عدل، والعدل من النّاس المرضيّ

(١) صحيح البخاري، كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ، بَابُ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَوْ إِتْلاَفَهَا، برقم ٢٣٨٧.

المستقيم الطّريقة، ويستوي في هذا الوصف المفرد والمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث. يقال: رجل عدل، ورجلان عدل ورجال عدل، وامرأة عدل، كلّ ذلك على معنى: ذو عدل، أو ذوو عدل، أو ذوات عدل. فإن رأيته مثنّى أو مجموعا أو مؤنّثا فعلى أنّه قد أجري مجرى الوصف الّذي ليس بمصدر كما في قولهم: قوم عدل وعدول أيضا، وحكى ابن جنّي: امرأة عدلة: ومعنى قولهم رجل عدل، بيّن العدل والعدالة أي أنّه رضا ومقنع في الشّهادة.

■ **العدل اصطلاحا:**

هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا الحكم بالرّأي المجرّد [١].

وقيل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقّين في حقوقهم [٢].

وقال ابن حزم: هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه [٣].

وقال الجرجانيّ: العدل الأمر المتوسّط بين الإفراط والتّفريط.

والعدالة في الشّريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحقّ بالاجتناب ممّا هو محظور دينا[٤].

■ **مكانته وأهميته:**

قال الماورديّ: إنّ ممّا تصلح به حال الدّنيا قاعدة العدل الشّامل، الّذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطّاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه

(١) فتح القدير، للشوكاني (١/ ٤٨٠).
(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢٥٣).
(٣) مداواة النفوس، لابن حزم (٨١).
(٤) التعريفات للجرجاني (١٥٣).

النّسل، ويأمن به السّلطان.

وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنّه ليس يقف على حدّ، ولا ينتهي إلى غاية، ولكلّ جزء منه قسط من الفساد حتّى يستكمل.

■ **ولقد حث الإسلام على العدل:**

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ (النساء: ٥٨).

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ (الحجرات: ٩).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإنّ الله عَزَّ وَجَلَّ محسن يحبّ المحسنين»[1].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرّحمن - عَزَّ وَجَلَّ - وكلتا يديه يمين، الّذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[2].

---

(١) مجمع الزوائد (٥/ ١٩٧) واللفظ له وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وذكره الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٩٤) وقال: حسن وكذلك في الصحيحة برقم (٤٦٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الاماره، بَابُ فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ ،برقم ١٨٢٧، ٣/ ١٤٥٨

■ **ولقد شدد الإسلام في الظلم الذي هو ضد العدل :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(١).

■ **مجالات العدل:**

وليس العدل مختصاً بالقضاء، بل العدل في كل صاحب ولاية، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٢).

ففي تربية الأولاد عدل، وبين الزوجات عدل، وفي الشهادة عدل، وفي الميزان عدل.

■ **العدل في الوظيفة :**

وللعدل في الوظيفة مجالات تطبيقية؛ منها:

١) إسناد الأعمال الإدارية للأكفاء الأمناء، ليطبقوا العدل في إداراتهم، وإلا كان من ولاّهم شريكاً لهم في الظلم.

(١) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والاداب، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ،برقم ٢٥٧٨

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الامارة، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ برقم ١٨٢٩

٢) ومنها: توضيح حقوق وواجبات كل موظف؛ لأن بعض المسؤولين لا يوضِّح للموظف هذه الواجبات ثم يؤاخذه على عدم تطبيقها، وهذا ليس من العدل.

٣) ومنها: المساواة بين الموظفين المتساوين في الدرجة والخبرة في المعاملة، والحقوق، دون تمييز بينهم غيرَ مبرر، فإن العدل يقتضي المساواة بين المتماثلين.

٤) ومنها: تقديم من سبق في مسابقة وظيفية، أو في عرض مشروع، أو في تقديم طلب مقابلة مسؤول، أو طلب إنجاز معاملةٍ ما، فالعدل في ذلك كله أن يقدَّم الأسبق؛ لأنه منهج القرآن والسنة، فالقرآن الكريم قدَّم السابقين على أصحاب اليمين، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحثّ الصحابة على المسابقة على الخير، فمن سبق وُعِد بالثواب، كالحديث المشهور (سبقك عكاشة). وقد جرى مثلاً .

٥) ومنها: تقييم الموظفين بشكل موضوعيّ نظاميّ، لا على أساس مصلحيّ.

وعكس ذلك ظلم، كمحاباة بعض الموظفين، أو المراجعين لعلاقة شخصية أو مصلحة خاصة، وسيأتي تفصيله في الصفات المذمومة.

وقد يقول أحد الموظفين أو المسؤولين: لا أستطيع تطبيق مبدأ العدل بحذافيره؛ لأنه يسبب لي نوعـًا من الإحراج، أو لومـًا من المسؤول.

والجواب: أن الموظف أو المسؤول الذي لا يستطيع تطبيق العدل ليس بكفء أن يتولى هذا المنصب، فالمنصب يحتاج إلى شجاعة وقوة شخصية – والقوة إحدى أهم صفتين في الوظيفة – فكيف تولى هذا الموظف المنصب وهو ضعيف، ثم يحتجّ بأنه لا يستطيع تطبيق العدل؟!

وأمرٌ آخر: وهو أن الوقوع في الإحراج في الدنيا، وتلقِّي اللوم، خيرٌ من الإحراج يوم القيامة أمام الله رب العالمين، حين يطالب المظلوم بحقِّه، فلا يمكن أداؤه له.

وأمرٌ آخر: وهو أن هذا المظلوم قد يدعو على الموظف الظالم له بعدم التوفيق، أو بالانتقام منه، ودعوة المظلوم مستجابة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»(١).

■ **وللظلم في الوظيفة صور عديدة؛ منها :**

* عدم إعطاء المكافأة المستحقة للموظف .
* إعطاء من لا يستحق درجات وميزات أعلى من غيره .
* منع الميزات الوظيفية والفرص المادية والمعنوية للموظف، أو إخفائها .
* تشغيل الموظف في غير ما اتفق عليه .

ويجب على من يضع أنظمة العمل أن يراعي هذا المبدأ، فيوضِّح كيفية التقييم، وتكون أنظمة العمل واضحة، لئلا يقع الاجتهاد غير المدروس من قبل المسؤولين، فيقع الظلم .

وقد أنشأت المملكة العربية السعودية ديوانًا للمظالم يختصّ بما يتعلق بالوظائف العامة من شكاوى، وقضايا، ووضعت في كل مكتب للعمل محكمة عمالية تحكم في المظالم بين أصحاب الأعمال وعمَّالهم، ووضعت نظامًا تفصيليًا للعمل، لئلا يقع الظلم.وهذا كله من حرص هذه الدولة حرسها الله على إقامة العدل ومنع الظلم.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، بَابٌ فِي الصَّائِمِ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُ، برقم ١٧٥٢، ورواه أحمد في مسنده، برقم ٨٠٤٣، وصححه الالباني الصحيحة (٢ / ٦٩٢ - ٦٩٣)، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (٣٧٣).

الخُلق الرابع: القوَّة:

القوة: القوة لغة:

اسم مأخوذ من مادّة (ق وى) الّتي تدلّ كما يقول ابن فارس على معنيين: أحدهما على شدّة وخلاف ضعف، والآخر القواء وهو الأرض الخربة[١]، والقوّة هنا مأخوذة من المعنى الأوّل، والوصف من ذلك: القويّ خلاف الضّعيف، وأصل ذلك من القوى الّتي هي جمع قوّة من قوى الحبل، والمقوي:

وقال الجوهريّ: القوّة: خلاف الضّعف، والقوّة الطّاقة من الحبل وجمعها قوى (بالضّمّ) وقوى (بالكسر)، يقال: قوي الضّعيف قوّة فهو قويّ، وتقوّى مثله، وقوّيته أنا تقوية[٢].

القوة اصطلاحا:

قال الجرجانيّ: القوّة: هي تمكّن الحيوان (أي الكائن الحيّ) من الأفعال الشّاقّة، فإن كان الكائن نباتا سمّيت قوّته قوّة طبيعيّة، وإن كان حيوانا سمّيت قوّته قوّة نفسانيّة وإن كان إنسانا سمّيت قوّته قوّة عقليّة، والقوى العقليّة باعتبار إدراكها للكلّيّات تسمّى القوّة النّظريّة، وباعتبار استنباطها للصّناعات الفكريّة من أدلّتها بالرّأي تسمّى القوّة العمليّة[٣].

أهميتها:

القوّة هي المؤهل الأول لتولي المناصب والوظائف، ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس(٥/ ٣٧) .
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الفارابي (٦/ ٢٤٧٠)
(٣) التعريفات للجرجاني (١٨٨)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٧٦)

﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (القصص: ٢٦)، وقد أشاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمؤمن القوي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1].

والعموم في الحديث يدلّ على جميع أنواع القوة، فالمؤمن القويّ جسداً، والمؤمن القويّ عقلاً، والمؤمن القويّ إيمانـًا خيرٌ من غيرهم من المؤمنين الضعفاء في هذه الأنواع.

والقوة للمؤمن مطلوبة في الوظيفة وغيرها .

■ مجالاتها:

والقوة في الوظيفة تختلف من مجال لآخر، وهي في كل مجال بحسبها، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: «القوة في كل ولايةٍ بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب والخبرة بالحروب والمخادعة فيها، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل والقدرة على تنفيذ الأحكام»[2].

والقوة بالنسبة للموظف نوعان: جسدية، ومعنوية؛ فالجسدية: هي قدرته على القيام بالعمل بأن لا يكون فيه عاهة أو مرض يمنعه من القيام بالعمل.

---

(١) رواه مسلم ،كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، برقم ٢٦٦٤، ٤/ ٢٠٥٢.

(٢) السياسة الشرعية، لابن تيمية (١٩).

والمعنوية: تعني القوة العلمية، التي تشمل التمكن في التخصص، واستغلال القدرات والإمكانات، ومتابعة التطوير والتجديد، وهذا النوع من القوة مقدم على القوة المادية[1].

■ اجتماع القوة مع الأمانة:

جمع القرآن الكريم بين أهم خُلقين يحتاجهما الموظف في قوله سبحانه ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (القصص: ٢٦).

■ التطوير:

والتطوير شكلٌ من أشكال القوة، وصفة من صفات الموظف الناجح الذي يسعى لتحسين أدائه وأداء مؤسسته، والتجديد في الأساليب الوظيفية والأنظمة سمة الحيوية في المؤسسة، أما الجمود والرتابة (الروتين) فهو مؤشِّر الفشل؛ ذلك أن ما يصلح لوقتٍ قد لا يصلح لوقت آخر، وما يناسب أناساً لا يناسب آخرين، وما كان مفيداً في السابق قد لا يكون مفيداً الآن، ثم إن الحياة بطبيعتها تتجدد يومياً، فكلّ صباحٍ تطلع شمسه تكتب الحياة لبشر وحيوانات وكائنات، فيحلُّون في الدنيا ويضيفون عليها شيئاً جديداً، ويغادر آخرون مخلِّفين تغييراً بشكلٍ ما. والحياة الوظيفية تتجدد أيضاً فشركات تنشأ وشركات تنهار، ومنتجاتٌ تظهر وأخرى تندثر، وأنظمة تقرَّر ومثلها تلغى. لذا فإن من لا يواكب التطوُّر سيظلّ في آخر الرَّكْب، وليس المصلِّي كالسابق[2].

---

(١) رواه البيهقي (شعب الإيمان: ٤/ ٣٣٥) عن كليب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) المصلِّي من الخيل: الذي يأتي ثانياً بعد السابق، وسمي بذلك لأنه يجيء ورأسه على صلا السابق ،والصلا مكتنفا الذنَب.(لسان العرب: ١٤ / ٤٦٦).

الخُلق الخامس: حسن المعاملة:

■ حسن المعاملة لغة:

الحسن لغة: الحاء والسّين والنّون أصل واحد، فالحسن ضدّ القبح، يقال: رجل حسن، وامرأة حسناء، وحسّانة، والحسن: الجمال.وهو نعت لما حسن. يقال: حسن الشّيء وحسن يحسن حسنا فيهما فهو حاسن وحسن.

قال الجوهريّ: تقول قد حسن الشّيء وإن شئت خفّفت الضّمّة فقلت: حسن الشّيء، والحسّان بالضّمّ أحسن من الحسن، وأحاسن القوم حسانهم[1].

أمّا المعاملة فهي: مصدر عامل، وهذا المصدر مأخوذ من مادّة (ع م ل) الّتي تدلّ على كلّ فعل يفعل، قال الخليل: عمل يعمل عملا فهو عامل، ويقال: اعتمل الرّجل إذا عمل بنفسه، قال في الصّحاح: والتّعميل تولية العمل يقال: عمّلت فلانا على البصرة: ولّيته إيّاها.

وقال ابن منظور: عاملت الرّجل أعامله معاملة، والمعاملة في كلام أهل العراق: هي المساقاة في كلام الحجازيّين[2].

■ المعاملة اصطلاحا:

قال التّهانويّ: المعاملة عند الفقهاء عبارة عن العقد على العمل ببعض الخرج (النّتاج) وتطلق المعاملات أيضا على الأحكام الشّرعيّة المتعلّقة بأمر الدّنيا باعتبار بقاء الشّخص كالبيع والشّراء والإجارة ونحوها. وجعلها أصحاب الشّافعيّ ركنا

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٥٧)، والقاموس المحيط (٤/ ٢١٥- ٢١٦)، ولسان العرب (١٣/ ١١٥- ١١٧).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٤٤)، ولسان العرب: (١١/ ٤٧٦)، والصحاح (٥/ ١٧٧٥)، والمصباح المنير للفيومي (٤٣٠).

من أركان الفقه؛ فقالوا: الأحكام الشّرعيّة إمّا أن تتعلّق بأمر الآخرة وهي العبادات أو بأمر الدّنيا وهي إمّا أن تتعلّق ببقاء الشّخص وهي العبادات أو بأمر الدّنيا وهي إمّا أن تتعلّق ببقاء الشّخص وهي المعاملات أو ببقاء النّوع باعتبار المنزل وهي المناكحات أو باعتبار المدنيّة وهي العقوبات[1]

وممّا تقدّم يمكن القول بأنّ حسن المعاملة: هو الموقف الحسن الثّابت الصّادق الّذي يتّخذه المؤمن أثناء تعامله مع الآخرين في سائر المعاملات على ما يكفل الرّفق بالمتعاملين.

■ أهميتها وأمثلة لها:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (البقرة: ٨٣).

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: ١٥٩).

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[2].

وسيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العطرة فائضةٌ بحسن معاملته، شهد له بها العدوّ قبل الصديق.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/ ١٠٣٦)

(٢) رواه البزار والحاكم(١/ ٢١٢) بسند صحيح.(مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢)

■ أنواع حسن المعاملة:

تتعدد أشكال حسن المعاملة:

* في بشاشة اللقاء والترحيب الحارّ.
* وفي الاهتمام بأمور الآخرين وتقديم الخدمة الممكنة لهم.
* وفي عدم إحراجهم أو إهانتهم.

وليس هذا مقصوراً على المسلمين فقط، بل حتى غير المسلمين يجب معاملتهم بالحسنى؛ للعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (البقرة: ٨٣).

والذي يجمع أنواع حسن المعاملة هو أن يعامل الإنسانُ الآخرين بما يحب أن يعاملوه به، فانظر كيف تحب أن يعاملك الآخرون فعامل الناس به.

■ حسن المعاملة في الوظيفة:

إضافةً للنصوص السابقة في حسن المعاملة مع الناس عمومـًا، فإن الزميل في العمل له توصيةٌ خاصة في القرآن الكريم، في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ (النساء: ٣٦).

فالجار ذي القربى: الجار القريب في النسب، والجار الجنُب: الجار القريب

في المنزل، والصاحب بالجَنب: الرفيق في البيت، والعمل، والسفر .[1]

وحسن المعاملة يحتاجها الموظف مع رؤسائه، وزملائه، ومرءوسيه، والمراجعين.

فالرؤساء والمدراء في العمل لهم حق المعاملة الحسنة؛ لأنهم أقدر وأكثر خبرةً في العمل غالبـًا، وحسن التعامل معهم يظهر في تنفيذ رغباتهم و أوامرهم؛ لأنهم من أولياء الأمور شرعـًا، ونحن مأمورون بطاعتهم في الكتاب والسنة، وحسن التعامل معهم يظهر أيضـًا في العلاقة الحسنة معهم لأن لها مردوداً على جودة الأداء؛ وفي إحسان الظنّ بهم، وعدم نشر الإشاعات الكاذبة عنهم، أو التشهير بهم، أو غِيبتهم، أو إساءة سمعتهم .

والروح الإيجابية الاجتماعية إذا سادت العلاقة بين الرئيس والموظفين انعكس ذلك تلقائيـًا على كسر الروتين الوظيفي، والتجديد في العمل، والتشجيع على النقد البنّاء لمصلحة العمل، ومنع التشنجات في العلاقات، وتعطيل مصالح الموظفين.

وقد يلجأ بعض الموظفين إلى تخشين المعاملة مع المسؤول، وغيبته والتشهير به؛ لأنه لم يستطع أخذ حقِّه منه، وهو متيقِّن أنه مظلوم في حقِّه، فيعبِّر عن غيظه بهذا السلوك،

وحل هذا الإشكال بأمور:

* **الأول:** أن يعلم الموظف أن غيبته للمسؤول لا تخدمه، بل قد تضرُّه ببلوغ هذه الغيبة للمسؤول، أو إضرار أحد من الناس به برفع قضية تشهير ضدَّه،

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٤٩٥).

مع العلم أنه لن يستفيد شيئًا من هذه الغيبة – إن كانت غيبة فعلاً – لأن من يسمعها لن يقف معه في حقِّه غالبًا خوفًا على مصلحته .

* **الثاني:** أن أخذ الحق له طرق شرعية ونظامية معروفة، وليس منها التشهير والغيبة.

* **الثالث:** أن الناس مفطورون على حبّ من أحسن إليهم وعاملهم بالحسنى، فخير مواجهة لهذا الظلم – إن وُجِد – هو حسن التعامل الذي يغيِّر نظرة المقابل وموقفه، كما قال سبحانه ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (فصلت: ٣٤).

* **الرابع:** أن المكاشفة والمصارحة والنصيحة الخالصة خير سبيل لصفاء القلوب وتقويم السلوك، فقدِّم نصيحتك بالشكل المناسب الخالي من الفضيحة، وصارح المسؤول بملاحظتك، فكثيراً ما يكون المسؤول غير قاصد أو غير منتبه لعواقب ما يفعل على بعض الأفراد، نظراً لانشغال ذهنه بأمورٍ أكبر، فإذا ذُكِّر انتبه واعتذر وصحَّح.

والزملاء في العمل لهم حق المعاملة الحسنة؛ لأنهم شركاء في المصلحة، ونصحاء في العمل، فيرشد الواحد منهم أخاه، ويسهِّل له مهمته، ويكون مرآةً له، لذا فإن التعامل الحسن واجبٌ من كلٍّ منهم لزملائه، لما يعود على الموظف بالراحة النفسية، وعلى العمل بالأداء الجيد.

وحسن التعامل معهم يظهر في التحية والابتسامة والملاطفة، والتعاون وخدمة بعضهم البعض، والنصح والتسديد، والتغاضي عن العيوب والأخطاء غير المقصودة.

وهذا لا يمنع من التنافس الشريف، ودخول المسابقات الوظيفية لا يؤثر على المعاملة الحسنة مع الزملاء؛ لأن هذا من فعل الأسباب المشروعة في الوظيفة، وهو حق لكل موظف كحقه في الراتب والترقية، فلا تأثير لها في المعاملة، وأيضاً فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتنافسون في أمور الخير والطاعات ويحسنون التعامل مع بعضهم البعض، بل يحب بعضهم بعضاً.

فالواجب أن يسعى كل موظف لما يفيد أخاه الموظف، ويدعو له بالتوفيق دائماً.

والمرءوسون لهم حق المعاملة الحسنة؛ لأنهم مساعدون للرئيس والمدير في عمله، فلولاهم ما استطاع الرئيس أن ينجز مهامه، إضافةً إلى أن المنطقي أن يكون الرئيس والمدير قدوةً لهم في التعامل الحسن، فإذا كان يتعامل معهم بالملاطفة والتبسم وترك التكلُّف، وتسهيل المهمات، والتغاضي عن الهفوات، والصدق والعدل، فإنهم سيكونون كذلك مع بعضهم، ومع غيرهم، بل وسيظهر مردود ذلك في عملهم وإنتاجهم.

وإذا كان بعكس ذلك متعالٍ عليهم، شديداً في محاسبتهم، جامداً في استخدام الأنظمة، فإن عطاءهم سيضعف، وستتوتَّر نفسياتهم معه ومع الآخرين!

ولا يعني ذلك أن يكون المدير متساهلاً في تطبيق النظام، كثير الخرق له، لا يحسن ضبط العمل والموظفين، فإن هذا علامة على ضعف الإدارة، ولكن الأمر يحتاج إلى حكمة وسياسة، فالأصل الانضباط الوظيفي، وإتقان الأداء من الجميع، إلا أن هناك حالات خاصَّة تستدعي المراعاة والتجاوز، إضافةً إلى أن تطبيق النظام لا يعني العبوس والجفاف في المعاملة، بل يمكن تطبيق النظام بحذافيره مع اللطف والبشاشة وحسن التعامل.

والمراجعون لهم حق المعاملة الحسنة؛ لأنهم المقياس الذي يقاس به نجاح المؤسسة، فانطباعهم عن المؤسسة أو المصلحة يعكس رأيهم في تعامل موظفيها، ولأنهم أصحاب حاجة، فإن لم تستطع أن تقضي لهم حاجتهم فلا أقلّ من أن ينصرفوا مسرورين بما وجدوه من حسن التعامل.

إن حسن التعامل هو الإكسير الذي تكسب به القلوب، مع أنه لا يكلِّف شيئًا كثيراً، ولكن آثاره عظيمة جداً على مستوى النفس والمؤسسة والمجتمع.

وقد تطورت علوم الاتصال الإنساني، وأصبحت تقدم للموظفين على شكل دورات إدارية مفيدة في كيفية التعامل مع المراجعين، وعلى سبيل المثال ذكر الدكتور ألبرت مهرابيان أننا أثناء اتصالنا بالآخرين نرسل ما نسبته ٧٪ عن طريق الصوت، بينما نرسل ما نسبته ٥٥٪ من رسائلنا للمقابل عبر الاتصال غير اللفظي، كالإيماءات والحركات والإشارات .

فالموظف بحاجة إلى أن يتعرف على هذه المهارات التي تحقق هدف حسن المعاملة مع الناس .

۞ الخُلق السادس: التواضع:

■ التواضع لغة:

مصدر تواضع أي أظهر الضّعة، وهو مأخوذ من مادّة (وضع) الّتي تدلّ على الخفض للشّيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

والوضائع قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضيع الرّجل الدّنيّ، والدّابة تضع في سيرها وضعا وهو سير سهل يخالف المرفوع[1].

(١) المقاييس لابن فارس (٦/ ١١٨)، والمفردات (٥٢٥ وما بعدها)، والصحاح (٣/ ١٣٠٠).

■ **اصطلاحاً:**

إظهار التّنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرّسالة القشيريّة: التّواضع هو الاستسلام للحقّ وترك الاعتراض في الحكم(١).

والتواضع فضيلةٌ عظيمة، يكفي فيها قول الله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (الحجر: ٨٨).

خفض الجناح تعبير بلاغي يراد به لين الجانب والتواضع، كما أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه، ثم قبضه على الفرخ(٢).

عن ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من تواضع لله رفعه الله»(٣).

وهي صفة من صفات المؤمنين، كما حكى الله تعالى عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما رأى نعمة الله عليه في تعليمه كلام الحيوان، فقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (النمل: ٤٠).

فلم يفخر على الناس بعلمه.

■ **صور التواضع:**

ومن صور التواضع:

* عدم التضايق من الأكل والمشي والركوب مع الفقراء.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٦/ ١٣٤) . وفتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٤١)، دليل الفالحين، لابن علان (٣/ ٥٠).

(٢) (تفسير القرطبي: ١٠ / ٥٧).

(٣) أنظر السلسلة الصحيحة برقم (٢٣٢٨) وصحيح الجامع (٦١٦٢).

* قبول الحق من الآخرين ولو صغيراً، أو منافساً، أو خصماً.
* الجلوس حيث ينتهي به المجلس، ولا يطمح إلى صدر المجلس.
* أن يكره أن يتمثّل له الرجال قياماً.
* عدم التضايق من تقديم غيره ممن هو أصغر منه، أو أفقر إن كان يفوقه في العلم أو الدين.

■ تطبيقات وظيفية في التواضع:

فالمسؤول المتواضع يتفقد حاجات زملائه الموظفين، ويجالسهم، ويشاركهم في المناسبات، ويعاملهم كما يحب أن يعاملوه لو كان مكانهم، والموظف يتواضع لزملائه، وللمراجعين، فيقدّر حاجاتهم، ويجتهد في خدمتهم.

وهذا يكسب احترام الآخرين، و يشيع روح الفريق الواحد بين المسؤول والعاملين معه، ويفسح المجال للانفتاح بين الموظفين لتقديم النصح فيما فيه مصلحة العمل.

ومن الأفكار الجميلة عمل مناسبات اجتماعية متكررة لزملاء المهنة، وموظفي المؤسسة لكسر الحاجز الوهمي بينهم.

۞ الخلق السابع: الرفق :

■ تعريفه لغة:

أصل المادّة يدلّ على موافقة ومقاربة بلا عنف، يقول ابن فارس: الرّاء والفاء والقاف أصل واحد يدلّ على موافقة ومقاربة بلا عنف، فالرّفق خلاف العنف.

هذا هو الأصل، ثمّ يشتقّ منه كلّ شيء يدعو إلى راحة وموافقة. يقال: رفق بالأمر، وله، وعليه يرفق رفقا، ورفق يرفق، ورفق (الرّجل): لطف، ورفق بالرّجل وأرفق بمعنى، حكاه أبو زيد، وكذلك ترفّق به، ويقال: أرفقته: أي نفعته، وأولاه رافقة أي رفقا، وهو به رفيق: لطيف. ويقول اللّيث: الرّفق: لين الجانب، ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق، وقد رفق يرفق، وإذا أمرت قلت: رفقا، ومعناه: ارفق رفقا، ويقول ابن الأعرابيّ: رفق: انتظر، ورفق: إذا كان رفيقا بالعمل، ويقول أبو زيد: رفق الله بك ورفق عليك رفقا ومرفقا، وأرفقك الله إرفاقا.[1]

■ **اصطلاحاً:**

هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف[2].

ولا ينكر أحد فضله لأن طبيعة البشر تحب الرفق وتكره العنف، إلا من انتكست فطرته، فأصبح يتلذذ بالقسوة والعنف، ويعرف بالسادية، والرفق مهم مع كل أحد مهما بلغ من القسوة، فإن الله تعالى أمر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالرفق مع فرعون مع أنه بلغ الغاية في التجبر والبطش، فقال سبحانه لموسى ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٣ - ٤٤).

والرفق صفة من صفات الله تعالى، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[3].

(١) انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٤٦)، ولسان العرب، لابن منظور (١٠/ ١١٨)، والصحاح (٤/ ١٤٨٢)

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٤٤٩)، ودليل الفالحين، لابن علان (٣/ ٨٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، برقم ٢٥٩٣، ٤/ ٢٠٠٣.

وإذا كان الله سبحانه يحب الرفق فإنه يثيب عليه في الآخرة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ»(١).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قط إلا شانه»(٢).

■ تطبيقات وظيفية في الرفق:

للرفق في الوظيفة أهمية كبيرة، فالمسؤول يطلب منه الرفق مع الموظفين والعمال، فلا يشق عليهم في العمل، بل يرفق بهم؛ لأنه كما يحب أن يراعي الآخرون ظروفه وراحته، فإنهم كذلك ينتظرون منه أن يكون بهم رفيقا ولهم رحيما.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ»(٣).

والموظف يطلب منه الرفق مع المراجعين وأصحاب الحاجات حيث لا يشق عليهم بمطالب غير ضرورية، فيضطرهم لتعطيل مصالحهم، ويحرجهم في أوقاتهم، أو يشق عليهم في تطويل مدة انتظارهم، أو في إتعابهم بأي شكل.

وهناك بعض الأعمال التي لا تتضمن تفصيلا في بنود العقد، ولكنها تعود إلى

---

(١) رواه الترمذي، برقم ٢٤٨٨، وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وصححه الالباني في الصحيحة (٩٣٥)، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٧٤٢.

(٢) ابن ماجه «٤١٨٥» في الزهد: باب الحياء، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» «٧٧»، البغوي في «شرح السنُّة» «٣٥٩٦» وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» «٤٦٦» وصححه الالباني في المشكاة ٤٨٥٤، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ٥٦٤٨.

(٣) رواه احمد في مسنده برقم ٢٦٢١٢،وقال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

العرف، كالخادم في المنزل رجلا أو امرأة، ويتوسع بعض الناس في استخدام الخادم كالعبد. ومطالبته بالأعمال الشاقة ولو كانت امرأة وهذا لا يجوز؛ لأنه إضرار به، والضرر ممنوع شرعـًا، وقد عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، قَالَ: فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ»[1].

وتشغيل العمال والموظفين في ظروف العمل الصعبة، كالعمل في أثناء نهار شهر رمضان، أو في وقت الحرّ أو البرد الشديدين ونحو ذلك يحتاج إلى الرفق بالعمال، رحمة بهم وتنشيطا لهم على العمل.

ولا يعني الرفق بالموظفين التساهل في تطبيق النظام، وتشجيع التسيّب الإداري، بل هو حسن المعاملة، ورحم الناس، فلا بد من الحزم مع الرفق.

۞ الخُلق الثامن: الحِلم:

■ الحلم لغة:

مصدر حلم فلان أي صار حليما، وهو مأخوذ من مادّة (ح ل م) الّتي تدلّ على ترك العجلة[2].

وقال الجوهريّ الحلم (بالكسر) الأناة، وقيل هو: الأناة والعقل وهو نقيض

(١) صحيح مسلم، كتاب الايمان، بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ، برقم ١٦٦١، ٣/ ١٢٨٣.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٣).

السّفه وجمعه أحلام وحلوم، وفي التّنزيل العزيز أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا. وقولك: حلم (بالضّمّ) يحلم حلما:أي صار حليما. وتقول: تحلّم (مشدّدا) أي تكلّف الحلم[١].

■ **اصطلاحاً:**

اختلف في الحلم اصطلاحا على أقوال أهمّها:

* **الأوّل:** قال الرّاغب: الحلم ضبط النّفس والطّبع عند هيجان الغضب[٢].
* **الثّاني:** قال الجاحظ: الحلم ترك الانتقام عند شدّة الغضب مع القدرة على ذلك[٣].
* **الثّالث:** قال الجرجانيّ: الحلم هو الطّمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظّالم (أي مجازاته بظلمه)[٤].
* **الرّابع:** قال ابن المناويّ: الحلم هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى أو رفع المؤاخذة عن مستحقّها بالجناية في حقّ مستعظم. أو هو رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل[٥].

■ **فضل الحلم:**

يكفي الحلم شرفًا وفضلاً أن الله تعالى تسمَّى به، فمن أسمائه الحليم قال

(١) لسان العرب (٢/ ٩٧٩- ٩٨١)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٣- ١٩٠٤)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٣).
(٢) مفردات الراغب (١٢٩).
(٣) تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه (٢٣).
(٤) التعريفات، للجرجاني (٩٢).
(٥) التوقيف على مهمات التعريف ،للمناوي (١٤٦).

الغزاليّ- رحمه الله تعالى-: الحليم: هو الّذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثمّ لا يستفزّه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (النحل: ٦١).

والحلم من صفات الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، كإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (هود: ٧٥).

وشعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ (هود: ٨٧).

ولقد ضرب نبينا أروع الأمثلة في الحلم «عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: كنت أمشي مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليه برد نجرانيّ غليظ الحاشية فأدركه أعرابيّ فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتّى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته ثمّ قال: يا محمّد مر لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمّ ضحك ثمّ أمر له بعطاء»[1].

■ تطبيقات وظيفية في الحلم:[2]

يتعرض المسؤول لبعض المواقف من بعض الموظفين أو المراجعين الذين

(١) متفق عليه: البخاري كتاب اللباس، بَابُ البُرُودِ وَالحِبَرَةِ وَالشَّمْلَةِ برقم ٥٨٠٩، ٧/ ١٤٦، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ برقم ١٠٥٧، ٢/ ٧٣٠.

(٢) انظر كتاب أخلاقيات المهنة في الإسلام د. عصام الحميدان.

قد يثيرونه بالانتقاد أو الاعتراض، سواءً كان ذلك بشكل فردي أو جماعيّ، أي من مجموعة، وسواءً كان ذلك في مقابلة فردية أو في اجتماعٍ رسميّ، وفي هذه الحالة إما أن يفقد المسؤول أعصابه فيثور ويبدأ بالدفاع أو الهجوم، وهذا الموقف فيه الكثير من السلبيات، ومنها:

* تحوُّل النقاش إلى تراشق لفظي لا نقاش علمي.
* تحوُّل النقاش إلى خلاف شخصيّ لا علاقة له بالعمل.
* خسارة المسؤول في هذا الموقف الاختباري أمام الآخرين كقدوة.
* فشل الاجتماع أو المقابلة.
* حمل الظغينة في النفوس على الآخرين، ولو رجعت المياه إلى مجاريها بعد ذلك، إلا أن ما حدث يبقى غالبـًا في الذاكرة.

لذا فإن المنتظر من المسؤول أن يكون حليمـًا لا يستجيب لاستدراج الآخرين لإغضابه، والأسلوب الأنسب لتلافي ذلك الفشل هو الآتي:

* تذكُّر فضل الحلم.
* تذكُّر أنه قدوة للموظفين يتمثل أمامهم الإداري الناجح، فكما يحب أن يكون موظفوه ناجحون، فهو من باب أولى.
* استشعار أنه في موقف اختبار يمكن أن ينجح فيه أو يرسب.
* مناقشة الموضوع المثار بموضوعية وتجرُّد، وتقبُّل كل نقدٍ صحيح، ولو كان فيه إبراز خطأ وقع المسؤول فيه، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

* تذكُّر أنه بشر يصيب ويخطئ وليس هو معصومـًا، وقد كان يخطئ من هو خيرٌ منه، وليس ذلك عيبـًا في البشر، كما قيل:

ومن ذا الذي ترضى سـجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعَدَّ معايبُه

* تذكر أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن، فربما كان هذا الناقد قاصداً للخير بتقويم هذا المسؤول ولكنه أساء الأسلوب، فالرؤية يجب أن تتوجَّه إلى الموضوع لا إلى الأسلوب، فالموقف الصحيح هو تقبُّل النصيحة والنقد، وتوجيه الناصح والناقد لتحسين أسلوبه.
* وفي حال تيقُّن المسؤول أنه على حق، وأنه ملتزمٌ بنظام المؤسسة أو الدائرة، فعليه تدعيم موقفه بالبراهين النظامية التي يحتكم إليها الجميع، لأن الاقتناع في هذه الحالة سيكون بالنظام لا بقول المسؤول واجتهاده.

■ **أما الوسائل العملية لإنهاء ذلك التوتُّر، فمنها:**

* تأجيل النقاش في الموضوع إلى وقت آخر، والتحوُّل إلى موضوع جديد.
* يمكن إنهاء المقابلة أو الاجتماع إن لم يمكن السيطرة على النقاش.
* تلطيف الجوّ بقصة أو رواية، لتهدئة الجوّ، وتلقائيـًا سيتغيَّر أسلوب النقاش.
* تذكير الجميع بالعلاقة الجميلة السابقة، والمصالح المشتركة.
* كسب ودّ المقابل بإبداء كل الرضى والسعادة بخدمته أو خدمتهم، وأن هدفه هو مصلحة الجميع، فهذا له أثرٌ كبير في ترطيب القلوب.

وما يقال في المسؤول يقال في الموظف الذي يواجه المراجعين وأصحاب الحاجات، وكثيراً ما نرى النزاعات ونسمع الأصوات المرتفعة في بعض

المؤسسات الحكومية والأهلية بين الموظفين والمراجعين نتيجة عدم الالتزام بخلق الحلم.

لذا فإن من الضروري إدراج هذه الصفة وبقية الصفات في الدورات الإدارية التي تعطى للموظفين والإداريين، وفي مناهج معاهد التدريب في الشركات، لما لها من أثر ناجح وفعَّال على أداء الإدارة ومنسوبيها.

❊❊❊

المبحث الثاني

الأخلاق الوظيفية المذمومة

الخلُق الأول: الغِشّ :

الغش لغة:

الغشّ اسم من قولهم غشّه يغشّه غشّا- بالكسر- وهو مأخوذ من مادّة (غ ش ش) يقول ابن فارس: «الغين والشّين أصول تدلّ على ضعف في الشّيء واستعجال فيه.

ويقول الفيّوميّ: «غشّه غشّا من باب قتل، والاسم غشّ- بالكسر- لم ينصحه وزيّن له غير المصلحة، ولبن مغشوش، مخلوط بالماء.

وغشّه يغشّه غشّا لم يمحضه النّصح، وأظهر له خلاف ما أضمره، وهو بعينه، عدم الإمحاض في النّصيحة كغشّشه تغشيشا، وهو مبالغة في الغشّ.والغشّ: الغلّ والحقد، وقد غشّ صدره يغشّ إذا غلّ[1].

الغش اصطلاحا:

قال المناويّ: الغشّ ما يخلط من الرّديء بالجيّد [2].

وقال ابن حجر: الغشّ (المحرّم) أن يعلم ذو السّلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئا لو اطّلع عليه مريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل[3].

---

(١) المقاييس (٤/ ٣٨٣)، الصحاح (٣/ ١٠١٣)، المصباح المنير (١٧٠) ،

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ،للمناوي(٢٥٢) .

(٣) الزواجرعن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي (٣٢٣)

وقد جاءت الايات والاحاديث تحذر من الغش ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ (المطففين: ١ - ٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(١).

■ الغشّ في الوظيفة:

مجال الغشّ والتزوير في الوظيفة واسع، ومن أمثلته:

* كتابة التقارير الطبية، حين يكتب الطبيب تقريراً طبياً غير متفق مع الواقع، أو يقدّم الموظف تقريراً طبياً لإدارته غير متفق مع الواقع، أو التقارير عن المشاريع حين يكتب المهندس أن المشروع انتهى وهو لم ينته بعد، أو يكتب أنه مستوفٍ للشروط وهو ليس كذلك، أو العكس حين يكتب أن المشروع لم يستوف المطلوب فنياً، وهو في الحقيقة مستوفٍ للشروط، أو التقارير عن الموظفين حين يكتب المدير تقريراً عن موظف بخلاف الحقيقة.
* وفي المخططات الإنشائية أو الصناعية، حين يصادق المهندس على مخطط غير مستوفٍ للشروط، أو مزوَّر.
* وفي الإجازات العادية أو المرضية، حين يقدِّم الموظف شهادةً طبية مزوَّرة تثبت أنه مريض.
* وكذلك استخراج شهادات مزوَّرة لأيّ جهة من الجهات، أو تزوير أوراق أو مستندات أو وثائق رسميَّة، أو الحصول على شهادات علمية غير حقيقية.

(١) صحيح مسلم، كتاب الايمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» برقم، ١٠١، ١/ ٩٩.

■ دوافع الغشّ:

والدافع لاستعمال الغش والتزوير عند الموظفين بمختلف طبقاتهم هو الحصول على منفعة أو مصلحة شخصية، وقد يكون الدافع المنافسة غير الشريفة لموظفين آخرين فيزوِّر بغرض تأخير غيره، وقد يكون الدافع التهرُّب من العقوبة.

وقد يستعمل أحد الموظفين الغشّ لمصلحة المؤسسة بزعمه، ولكن ذلك يعدّ وسيلة غير مشروعة، لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، بمعنى أن العمل المشروع يجب أن تكون وسيلته مشروعة كذلك، وما يُبنى على الباطل فهو باطل.

۞ الخُلق الثاني: إفشاء الأسرار:

■ الإفشاء لغة:

مصدر قولهم: أفشيت كذا أفشيه، وهو مأخوذ من مادّة (ف ش و) الّتي تدلّ على الظهور، يقول ابن فارس: الفاء والشّين والحرف المعتلّ كلمة واحدة وهي (تعني) ظهور الشّيء، يقال:فشا الشّيء: ظهر.

وقال الجوهريّ: يقال: فشا الشّيء يفشو فشوّا أي ذاع، وأفشاه غيره (أذاعه ونشره)، وتفشّى الشّيء، اتّسع، وقال الفيروز اباديّ: يقال: فشا خبره وعرفه وفضله فشوا وفشوّا وفشيّا أي انتشر، والفواشي ما انتشر من المال كالغنم السّائمة والإبل وغيرها، وتفشّاهم المرض، وتفشّى بهم: كثر فيهم، وفشت القرحة: اتّسعت، وبهذا الّذي ذكره الفيروز آباديّ يتّضح معنى قول ابن منظور: أنّ الفشوّ بمعنى الظّهور عامّ في كلّ شيء وأنّ منه «إفشاء السّرّ»[1].

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٤)، الصحاح (٦/ ٢٤٥٥). القاموس المحيط (فشا) (١٧٠٣) (ط. بيروت)، لسان العرب (فشا) (٣٤١٨) (ط. دار المعارف).

■ السّرّ لغة:

السّرّ في اللّغة: اسم لما يسرّ به الإنسان أي يكتمه، وهو مأخوذ من مادّة (س ر ر) الّتي تدلّ على إخفاء الشّيء، ومن ذلك السّرّ: خلاف الإعلان[١].

يقال: أسررت الشّيء إسرارا: خلاف أعلنته. ومن الباب: السّرّ وهو النّكاح، وسمّي بذلك لأنّه أمر لا يعلن به، ويقال: السّرسور: العالم الفطن، وأصله من السّرّ، كأنّه اطّلع على أسرار الأمور. وقال الرّاغب:الإسرار خلاف الإعلان. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (البقرة: ٧٧).

■ السّرّ اصطلاحا:

قال الرّاغب: السّرّ: هو الحديث المكتّم في النّفس[٢].

■ إفشاء السّرّ اصطلاحا:

قال الجاحظ: إفشاء السّرّ: خلق مركّب من الخرق والخيانة، فإنّه ليس بوقور من لم يضبط لسانه، ولم يتّسع صدره لحفظ ما يستسرّ به[٣].

وقال السّفّارينيّ: إفشاء السّرّ نشره وإذاعته (بين النّاس)، والسّرّ هو ما يكتم في النّفس كالسّريرة [٤]، وقال الكفويّ: إفشاء السّرّ يكون بالكتابة والإشارة والكلام[٥].

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٣/ ٦٧).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصبهاني (١٩٤).

(٣) تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه (٣٠).

(٤) المرجع السابق (٣٠).

(٥) غذاء الالباب، شرح منظومة الآداب (١/ ١١٥). الكليات للكفوي (١٤).

■ وقد جاءت الايات تنهى عن إفشاء الاسرار:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ (الأنفال: ٢٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ (النساء: ١٠٥ - ١٠٦).

■ وكذلك جاءت الاحاديث في ذم إفشاء السر:

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا».(١)

واتفق العقلاء على فضيلة كتمان السرّ، وقالوا: العفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار، لأن الإنسان قد يذيع سر نفسه، ويشحّ باليسير من ماله ضنًا به وحفظًا له، ولذلك كان أمناء الأسرار أشد تعذُّراً وأقل وجوداً من أمناء الأموال.(٢)

■ الأسرار الوظيفية:

وهذا يتأكد في الوظائف ذات الصفة الخاصة، كالطب، والعسكرية، والقضاء، والمناصب العليا، ففيها من الأسرار ما يحتاج فيه العامل إلى درجةٍ عالية من الأمانة؛ لئلا يفشي أسرار العمل، أو أسرار الناس، ولذا وُضِع في بعضها قسَم يؤديه المتقدم زيادةً في التعهد بحفظ الأسرار، كقسَم الطبيب، والعسكري.

(١) صحيح مسلم ،كتاب النكاح، باب من أفشى سر امرأته، برقم ٣٥٣٣، ٤/ ١٥٧

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٩٥- ٢٩٦)

فالطبيب يطلع على عيوب الناس، فإن المرض عيب، ولا أحد من الناس يحب أن يطلع على عيبه أحد، وأيضاً فإن المرض يترتب عليه أحكام شرعية في النكاح والطلاق والعبادات، وأيضاً فإنه المرض يمكن أن يستعمل في التشهير من مبغضي الإنسان، لذا لا يحق للطبيب أن يفصح عن أمراض الأشخاص.

والعسكري الذي يطلع على أسرار الدولة، من تسليحها، وقواتها العسكرية، وحجم نفقاتها العسكرية، وغير ذلك مما لا ترضى دولة أن تفصح عنه إلا بحدود ضيِّقة، يتحمل من الأمانة الشيء الكثير. والقاضي يطلع على مشكلات الناس وخلافاتهم وأسرارهم، فمن واجبه أن يكون أميناً في عدم الإفصاح عن شيءٍ من ذلك. والمسؤول عن قطاع كبير من الموظفين كالوزير والوكيل والنائب والمدير العام يطلع بحكم وظيفته على أسرارهم، ومشكلاتهم، وقضاياهم، وربما أحوالهم الشخصية، مما يأتيه من مختلف الجهات في دائرته وغيرها، فعليه تحمُّل الأمانة في عدم إفشاء أسرار الموظفين لغيرهم.

أنواع الأسرار: والأسرار الوظيفية منها ما يتعلق بالأشخاص، ومنها ما يتعلق بالأعمال؛ فما يتعلق بالأشخاص كالظروف الشخصية للموظفين التي يعلم عنها المدير، أو بعض الزملاء.

وما يتعلق بالعمل، كعدم كشف اسم المؤسسة ومقدار عرضها في لجنة المظاريف الموكلة باختيار أفضل العروض المقدَّمة، وعدم كشف ما يدور في الاجتماعات الخاصة.

■ حالات جواز كشف سر العمل:

الأصل أن السرّ لا يجوز كشفه؛ لأسباب:

* **الأول:** أن كشفه إخلالٌ بالأمانة، وإخلافٌ للوعد، ونقض للعهد.
* **الثاني:** أن في كشفه ضرر على من يختص به السرّ.
* **الثالث:** أن في كشفه إشاعةٌ للخيانة بين الناس، وعدم احترام الكلمة.
* **الرابع:** أن في كشفه فتحٌ لباب التلصُّص والتجسُّس، والاطلاع على ما لا ينبغي، والتدخُّل فيما لا يعني.
* **والخامس:** أن في كشفه تجرئةٌ على الممنوعات الشرعية؛ لأن من يتجرأ على التعدي على هذا الممنوع، فسيتجرأ على بقية الممنوعات.

(وقد يرتفع هذا الواجب إذا فقد الموضوع سريته بأن صار معروفًا عند الناس أو ألغي الأمر الذي أوجب السرية، أو كان من شأن إفشائها منع ارتكاب جريمة جنائية يتناسب منعها مع إفشاء السر، أو ظهر من الجهة التي تملك ذلك نظامًا، أو اقتضت ذلك مصلحة العمل كتدريب موظف جديد على مباشرة مهام الوظيفة.

وأيًا كان الأمر فإنه ينبغي أن يلاحظ أن هناك حالات يفترض فيها النظام على الموظف الإفصاح عن هذه الأسرار كأن يصدر قرار من جهة تملك ذلك الحق نظامًا بإلزام الموظف بأن يفصح عن سر من أسرار الوظيفة ومثل تلك الحالات لا تعتبر من قبل الإفشاء المحظور كمبدأ عام)[1].

الخلق الثالث: الاهمال:

الإهمال لغة:

مصدر قولهم: أهمل يهمل، وهو مأخوذ من مادّة (هـ م ل) الّتي تدور حول

(١) انظر كتاب أخلاقيات المهنة في الإسلام د. عصام الحميدان مرجع سابق.

التّرك والتّخلّي، سواء كان عن عمد أو عن غير عمد. يقول ابن فارس «الهاء والميم واللّام» أصل واحد، أهملت الشّيء إذا خلّيت بينه وبين نفسه، والهمل: السّدى، والهمل: المال لا مانع له، والهمل: التّرك، وقولهم: وما ترك الله النّاس هملا: أي سدى بلا ثواب ولا عقاب، وقيل:لم يتركهم سدى بلا أمر ولا نهي، ولا بيان لما يحتاجون إليه.(١)

■ **الإهمال اصطلاحا:**

يقول الكفويّ: أهمله: خلّى بينه وبين نفسه، أو تركه ولم يستعمله(٢)

والاهمال في الاصطلاح الوظيفي يسمى التسيب وهو لغة: سيَّب الشيء تركه، وسيَّب الناقة تركها تسيب حيث شاءت(٣)

وهو في الاصطلاح: عدم الانتظام في الدوام.

■ **صوره:**

عدم الانتظام في الوقت له صورتان:

* **الأولى:** عدم الالتزام بالحضور والانصراف في وقت الدوام المتفق عليه بين العامل وصاحب العمل.
* **الثانية:** أن ينشغل الموظف أثناء العمل بأشياء لا علاقة لها بالعمل تؤثر على عمله الأساسي.

---

(١) المقاييس لابن فارس (٦/ ٦٧) الصحاح (٥/ ١٨٥٤ - ١٨٥٥)، لسان العرب (٨/ ٤٧٠١ - ٤٧٠٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٢٧٤) . تهذيب اللغة للأزهري، (٦/ ٣١٩)

(٢) الكليات ، للكفوي (٢١١) .

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٤٧٨-سيب)

■ **حكمه:**

التسيُّب الوظيفي حرام لأسباب:

الأول: أن المؤمنين عند شروطهم، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ (المائدة: ١).

وهذا أمر من الله تعالى يجب الالتزام به، لأن الأصل في الأوامر الوجوب، والمخالف للواجب مرتكب للمحرَّم.

ومن السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»[1].

والموظف الحكومي أو الأهلي قد أقرّ العقد المتفق عليه بينه وبين جهة العمل، ووقَّع عليه، فهو ملزم بما أقرّ به ووقع عليه، لأنه عند شرطه، وإلا لكان العقد لا معنى له حين يقرّ به ويوافق عليه ثم لا يلتزم به، وعدم الالتزام بالعقود المنعقدة معصية لله تعالى، قال الله سبحانه في صفات المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ (الرعد: ٢٠ - ٢١).

فإذا أراد الموظف أن ينقض الاتفاق فعليه أن يلغي العقد بينه وبين الجهة، وبذا يبرأ من تبعة الالتزام به.

الثاني: أن أموال الآخرين معصومة لا يجوز التعدِّي عليها، عَنْ مُوسَى بْنِ

(١) المستدرك على الصحيحين، برقم ٢٣٦٤، ٢/ ٦٢، وصححه الالباني في إرواء الغليل برقم ١٣٠٣.

زِيَادِ بْنِ حِذْيَمٍ السَّعْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، حِذْيَمِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ شَهِدَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ هَذَا»[1].

فالموظف يستحق راتبه على مقدار معيَّن من الساعات يقضيها في العمل، منصوص عليها في العقد، فإن أخلّ بهذا المقدار من الزمن الذي يفترض أن يقضيه في العمل، فإنه لا يستحق شرعاً ولا نظاماً المكافأة الموضوعة، ولا يحلّ له أخذها وعلى هذا فإنه لا يجوز التأخُّر عن الدوام، ولا الانشغال أثناءه بما لا علاقة له به، وإذا حدث من الموظف تأخُّر في الدوام فعليه أن يعوِّض ذلك بوقتٍ إضافي، أو عملٍ إضافي يقدّمه للعمل.

❊❊❊

(١) رواه أحمد في مسنده، برقم ١٨٩٦٦.

الفصل السابع

المخالفات المهنية

إن المخالفات المهنية تتناول بعض الجزئيات في بعض الجوانب الوظيفية، في حين أن الأخلاق المذمومة تشمل هذه وغيرها. فبينهما خصوص وعموم، لكن نظراً لأن هذه المخالفات منتشرة والحاجة إلى التنبيه عليها قائمة. ومن هذه المخالفات:

١) التزوير:

تعريفه:

وهو تغيير الحقيقة بإحدى الطرق المقررة بالقانون بقصد الغش في محرر صالح للإثبات ويرتب عليه القانون أثراً.

حكمه:

والتزوير محرم في الإسلام من عدة وجوه:

أنه يشمله قوله سبحانه ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ (الحج: ٣٠) وهذا نهيٌ عن قول الزور بأنواعه، والنهي يشمل الفعل أيضاً بالتضمين.

* أن الدافع إلى التزوير تحقيق مصلحة شخصية بأحد أمرين: الانتفاع بالمزوَّر، أو الإضرار بالغير. وكلا الأمرين محرمٌ شرعاً؛ أما الأول فلأن

الانتفاع بالمزوَّر استخدامٌ لوسيلةٍ باطلة، والقاعدة الشرعية تقول: ما يبنى على الباطل فهو باطل. وأما الثاني فلأن الإضرار بالغير بغير حق حرامٌ بالإجماع.

* أنه من فروع الكذب، والكذب حرامٌ بالإجماع.
* أن فيه تدليساً وخداعاً، وهما حرام.

وقد يتوهم الموظف أنه يزوِّر من أجل المصلحة العامة، وعلى سبيل المثال: قد يلجأ الموظف إلى تغيير بعض المخططات، أو تزوير بعض الأختام من أجل تسهيل مهمة مرفق عام كمسجد أو حديقة عامة، وهذا لا يجوز شرعاً؛ لأن الوسيلة التي ارتكبها غير مشروعة، وإن كان يحقق بها مصلحةً عامةأنه نوعٌ من الغش، و(من غشّ فليس منا)، وهذا العموم يدل على أن التحريم يتناول التزوير بكل أنواعه، وسواء أحدث ضرراً بالآخرين أم لم يحدث، فإذا زوَّر شخصٌ ما توقيعاً أو ختماً أو ورقة رسمية وحصل على ميزةٍ لا يستحقها، فإنه مزوِّر شرعاً، ولو لم يحدث الضرر بغيره، خلافاً لما جرى عليه بعض القانونيين الذين اشترطوا الضرر.

* أن الدافع إلى التزوير تحقيق مصلحة شخصية بأحد أمرين: الانتفاع بالمزوَّر، أو الإضرار بالغير. وكلا الأمرين محرمٌ شرعاً؛ أما الأول فلأن الانتفاع بالمزوَّر استخدامٌ لوسيلةٍ باطلة، والقاعدة الشرعية تقول: ما يبنى على الباطل فهو باطل. وأما الثاني فلأن الإضرار بالغير بغير حق حرامٌ بالإجماع.
* أنه من فروع الكذب، والكذب حرامٌ بالإجماع.
* أن فيه تدليساً وخداعاً، وهما حرام.

وقد يتوهم الموظف أنه يزوِّر من أجل المصلحة العامة، وعلى سبيل المثال: قد يلجأ الموظف إلى تغيير بعض المخططات، أو تزوير بعض الأختام من أجل تسهيل مهمة مرفق عام كمسجد أو حديقة عامة، وهذا لا يجوز شرعـًا؛ لأن الوسيلة التي ارتكبها غير مشروعة، وإن كان يحقق بها مصلحةً عامة

۞ ٢) الرشوة:

■ الرشوة لغة:

هي الاسم من قولهم رشاه يرشوه رشوا إذا أعطاه الجعل، وهي مأخوذة من مادّة (ر ش و) الّتي تدلّ على التّسبّب للشّيء برفق وملاينة، تقول: ترشّيت الرّجل إذا لاينته[١].

وقال الجوهريّ: يقال: الرّشوة (بالكسر) والرّشوة (بالضّمّ) وجمعها رشى ورشا، وارتشى: أخذ الرّشوة، واسترشى في حكمه: طلب الرّشوة عليه، ويقال: ترشّيت الرّجل إذا لاينته، وراشيته إذا ظاهرته[٢].

وقال ابن منظور: الرّشو: فعل الرّشوة، والمراشاة: المحاباة، والرّشوة (بالفتح)، والرّشوة (بالكسر)، والرّشوة (بالضّمّ) الجعل، قال: وهي مأخوذة من رشا الفرخ إذا مدّ رأسه إلى أمّه لتزقّه[٣].

■ الرشوة اصطلاحا:

قال الفيّوميّ: الرّشوة: ما يعطيه الشّخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٣٩٧.

(٢) الصحاح ٦/ ٢٣٥٧.

(٣) لسان العرب (رشو) ص ١٦٥٣ (ط. دار المعارف)، والقاموس المحيط (رشا) ص ١٦٦٢ (ط. بيروت).

على ما يريد[1].

وقال الجرجانيّ: الرّشوة: ما يعطى لإبطال حقّ أو إحقاق باطل[2].

وقال التّهانويّ: حدّ الرّشوة: بذل المال فيما هو غير مستحقّ على الشّخص، وقيل: هي ما يعطيه رجل شخصا حاكما أو غير حاكم ليحكم له أو يحمله على ما يريده[3].

وقد جاءت الايات في النهي عن الرشوة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (البقرة: ١٨٨).

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرّاشي والمرتشي[4].

■ **حكمها:**

الرشوة محرمةٌ ومن كبائر الذنوب، من وجوه:

* **الأول:** أنها سحتٌ، ومن صفات اليهود، قال سبحانه ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (المائدة: ٤٢).

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٢٢٨.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١١٦، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ١٧٧.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/ ٨٦).

(٤) سنن الترمذي ٣ (١٣٣٧) واللفظ له، وقال: حديث حسن، أبو داود ٣ (٣٥٨٠)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢ (٣٠٥٥): صحيح،وكذلك في الترغيب والترهيب ٣/ ١٧٩.

* **الثاني**: أنها أكلٌ لأموال الناس بالباطل، قال سبحانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (البقرة: ١٨٨).

* **الثالث**: أنها طريقٌ لتجاوز النظام، وطريقٌ لتعويد الموظفين على عدم تقديم أعمالهم إلا بالرشوة، وبالتالي إفساد ذممهم، وحرمان الكثير من الناس من نيل حقوقهم الطبيعية بالطرق المشروعة، لعدم إمكانهم دفع الرشوة دِينـًا أو عجزاً.

* **الرابع**: أنها من أسباب انتشار الضغائن والأحقاد في المجتمع من قبل أولئك الذين يشعرون بالظلم والغبن.

■ صورها:

للرشوة صور؛ منها:

* دفع المبالغ المالية للموظف أو المسؤول مقابل قضاء مصلحة الراشي، إذا كانت هذه المصلحة من صميم عمل الموظف، ولا يشترط أن تكون الرشوة مبلغـًا كبيراً، بل أيّ مبلغ يدفع لهذا الغرض فهو رشوة قلّ أو كثر.

* ومنها: تقديم الخدمات للمسؤول كتخفيض سعر السلعة لهذا المسؤول، أو ترقية أحد أقاربه، أو خدمة بيته وأبنائه.

ولذا قال العلماء إن الهدايا لا يقبلها الحاكم والقاضي إلا ممن كان يتهادى معه قبل الإمارة والقضاء، وما لا فلا يقبل.[1]

(١) تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية، عبدالغني النابلسي/ : (١٩٥، ٢١١).

الخاتمة

الحمدلله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين أصطفى وبعد:

فالاخلاق الحسنة مكسب عظيم يسعى لها كل مسلم يريد الفلاح في الدنيا والاخره وذلك لما فيها من الفوائد العظيمه والمكاسب الجليه وفي هذا البحث ذكرنا جملة من فوائد الاخلاق ومصادرها وطرق أكتسابها.

ولما كان للاخلاق دور عظيم في بيئة العمل والمهن ذكرنا جملة من الاخلاق المتعلقة بالمهن وما يجب على العامل والموظف أن يتحلى به من جميل الاخلاق كما ذكرنا بعض الاخلاق المذمومة في بيئة العمل التي ينبغي للموظف والعامل أن يبتعد عنها لما فيها من مفاسد عظيمة على الموظف والعمل وفي الختام أوصى أخي القارئ أن يسعى إلى التحلى بالاخلاق الإسلامية العالية ويتجمل بها ففيها السعادة في الدنيا والاخرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

حرر في ٥/ ٢/ ١٤٤٢ هـ

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك بجامعة طيبة

إيميل: ssal71@hotmail.com

تويتر: slimsalam1

واتس: 05555745771

المراجع

١. القران الكريم.

٢. الأخلاق والسير في مداواة النفوس ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣. آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام النشر: ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.

٤. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٢١هـ.

٥. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

٧. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.

٨. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٩. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٠. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١١. الزواجر عن اقتراف الكبائر أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف).

١٣. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

١٤. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي – بيروت.

١٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

١٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين – بيروت، الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

١٨. كتاب أخلاقيات المهنة في الإسلام د. عصام الحميدان.

١٩. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان لطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٠. كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم أبو عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٢١. لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف القاهره.

٢٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين،ت عبد السلام محمد هارون،نشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

٢٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ط ٣.

٢٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج محمد الجوزي الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

❊❊❊

الفهرس

- المقدمة ٥
- الفصل الاول : مفهوم الأخلاق الإسلامية ، وأهميتها ٧
  - المبحث الاول : مفهوم الأخلاق ٧
  - المبحث الثاني : أهمية الأخلاق في الإسلام ٩
- الفصل الثاني : مصادر الأخلاق الإسلامية وأقسامها باعتبار علاقاتها ١٦
  - المبحث الأول : مصادر الأخلاق الإسلامية ١٦
  - المبحث الثاني : أقسام الأخلاق باعتبار علاقاتها ١٩
- الفصل الثالث : خصائص الاخلاق ووسائل أكتسابها ٢٤
  - المبحث الأول : خصائص الاخلاق ٢٤
  - المبحث الثاني : وسائل اكتساب الاخلاق ٣٠
- الفصل الرابع : مفهوم المهنة والعمل ومكانتهما ٤٩
- الفصل الخامس : شروط المهنة في الإسلام ٥٧
- الفصل السادس : أخلاقيات المهنة ٦٦
  - المبحث الأول : الأخلاق الوظيفية المحمودة ٦٦
  - المبحث الثاني : الأخلاق الوظيفية المذمومة ٩٥
- الفصل السابع : المخالفات المهنية ١٠٥
- الخاتمة ١١٠
- المراجع ١١١